رواية

أنت هنا

لأن العالم الخارجي يرفضك

حسن السيد

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الوهاب

الطبعة الأولى
الكتاب : أنت هنا
تأليف : حسن السيد
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : محمد على
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٢٢٤ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 11 - 3

All Rights Reserved
محفوظة جميع الحقوق

Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

الإهداء

إلى من أعطاني ١٢ جلسة كهربية بغرض العلاج من الاكتئاب والوسواس القهري والاضطرابات النفسية، أقدم لك إهدائي واعتذاري عن أي رد فعل سيئ ناتج عن غضب أو وجع، وأخبرك إني مدين لك على فقدان ذاكرتي لكل شيء كان يؤلمني.

المقدمة

من المفترض أن تقوم بزياره طبيب نفسي كل شهر «مـــرة» على الأقل لكي تصف له مـــا الذى بداخلك وتحكى له مشاكلك والصعوبات التي تمر بها ولكن لأننا نعيش في مجتمع شرقي ينظر إلى زائر المستشفيات النفسية بنظرة ســـوداوية ويصفه بكونه «مجنون» فلا أحد يجرؤ على فعل ذلك.. وهنا اتجهنا إلى الكتابة والموسيقى والجلوس على شـــاطئ البحر والتأمل في الســـماء ومخاطبة «العرائس الكرتونية».. كل هذه الوســـائل اســـتخدمناها للتعبير عن أنفســـنا وعن الضجيج الذى يحدث بداخلنا.. وهنا كل شـــخص حر يختار الطريقـــة التي تعجبه للتعبير عن ذاته..

وأنا اخترت اســـتخدام الكتابـــة للتعبير عني وعن كل شـــخص فاقد لقدرة التعبير عن نفســـه..

***

ملحوظة:

أنا لم أقدم شـــيء جديد من خيالـــي.. أنا فقط حاولت أن أسرد كل الذى يحدث أمام عينيّ.. الرواية تشـــبه وضع السم في وعاء من العســـل.. بالتأكيد ســـوف تأتي لك لحظة ما تشعر بأن الرواية كتبت لتجعلك تأخذ قرار الرحيل عن العالم.. لكن صدقني لا شيء يستحق أن تغادر العالم بسببه طالما لم تخسر نفسك!

الفصل الأول

«اللعنة على أولئك الذين رحلوا عنا وهم يعلمون أن رحيلهم يمزق روحنا ويقتلنا»

٢٠١٨/٥/١

مطار برج العرب - الإسكندرية

- هذا الرقم مغلق أو غير متاح من فضلك حاول الاتصال في وقتٍ لاحق.

- على السادة المسافرين التوجه إلى الصالة الرئيسية، رحلة رقم ()، بوابة رقم ()، والمتجه إلى لندن...

- هذا الرقم مغلق أو غير متاح من فضلك حاول الاتصال في وقتٍ لاحق.

- »أشعلت سيجارتي وأخرجت مذاكراتي من حقيبة اليد، لأحدث صديقي - الورق - بما حدث من أسبوع، بالتحديد يوم عودتي إلى حبيبتي، بعد فراق استمر ٨ شهور«

أمسكت قلمي وكتبت..

٢٠١٨/٤/٢١

يوم السبت، يوم عمري ماهنساه، إزاي أنساه؟ ده تاريخ رجوعنا لبعض بعد فراق طال ٨ شهور، هاحكيلك من البداية.

صحيت من النوم الصبح أخدت شاور ونزلت اشتريت بوكيه ورد وروحت استنتها قدام كليتها.. ولما خرجت شافتني فـ ضحكت ودمعت من الفرحة وجتلي سلمت عليـا وأخدت البوكيه.. وعرضت عليها أعزمها على فنجان قهوه في الكافيه اللي جنب الكلية فـ وافقت.. وهناك طلبت منها نرجع لبعض ف وافقت وضحكتلي..

آه نسـيت أقولـك إنـي مصاب باكتئـاب حاد وبيجيلي أفكار انتحارية بس أول ماضحكتلي نسـيت الاكتئاب وكنت أسعد واحد في العالم.. صدق اللي قـال إن الحب بيعمل معجزات، ضحكتها قدرت تعمل اللي العلاج مقدرش يعمله.. ضحكتها قدرت تعالجني وتغير حالتي ١٨٠ درجة للأحسـن..

المهم شـربنا القهوة وروحتهـا بيتها.. وهنا بدأت المشـكلة.. كنا بنتكلم على الواتساب، كانت بترد عليا متأخـر وبترد على قد السـؤال وأقل كمان.. حسيت إني بكلم واحدة تانية غير اللي كانت معايا أو إني تقيل عليها جدا ومش متقبلاني.. التمست ليها ألف عذر ونهيت الكلام معاها وقولت لنفسـي ممكن تكون مش فاضية.. أو بتذاكر عشـان امتحاناتها..

كلمتها تاني يوم ردت عليا بعديها بساعتين مع إني شايفها أون لاين وبتنزل صور فالاستوري بس بردو التمستلها العذر..

الحب هو اللي بيعمينا عن الحقيقة، حتى لو الحقيقة باينة زي الشمس هنغمض عنينا وهنلتمس الأعذار ليهم.

وتمر الأيام لحد يوم ٢٠١٨/٤/٢٤ أقنعتها تسافر معايا لندن نغير جو فـ وافقت بعد محاولات كتير.. واديني أهو قاعد مستنيها ومجتش لحد دلوقتي ومتبقي نُص ساعة على موعد إقلاع الطائرة واتصلت بيها كتير تليفونها مقفول..

***

أشعلت سيجارة أخرى وأخرجت الهاتف المحمول والهاند فرى من جيبي.. لأستمع إلى الموسيقى لمحاولة تهدئة ما يدور بداخلي.

تبدأ الموسيقى وأقول لنفسي..

«اهدأ يا مكرم. اهدأ كل شيء سيكون على ما يرام، ما زال متبقى نصف ساعة على موعد إقلاع الطائرة

ومرام ســـوف تأتي قبل ذلك بالتأكيد، اهدأ وانظر إلى المسافرين وتعمق في أعينهم لترى نظرات الوداع أو اللقاء.. وأفضل شيء أنه لا أحد يعرفك هنا فأنا وأنت نعلم كم تكره الرسميات والتهانئ السخيفة وأن...

- أستاذ مكرم عوض!

- أفندم؟

- أنا مـــن اشـــد المعجبين بحضرتـــك.. قريت كتابك اللي اتحول لفيلم ســـينمائي وعجبني جدا، كل القصص أثرت فيا وتركت بصمة في حياتي ومن بعدها تابعت كل كتاباتـــك على مواقع التواصل الاجتماعـــي وكلها روعة.. أنـــا في انتظار أعمالك القادمة وأتمنى تكون في نفس المستوى وأفضل كمان.

ممكن أسال حضرتك سؤال لو وقتك يسمح؟

- اتفضلي.

إيه رأي حضرتك في علاقات السوشـــيال ميديا.. أقصد إن حقيقي فيه اتنـــين ممكن يحبوا بعض من على الفيسبوك ويتجوزا؟

- «أنا مـــن النـــاس الكافرة بعلاقات السوشـــيال ميديا.. مش مقتنـــع إن في اتنين اتعرفوا على بعض من سوشـــيال ميديا وحبوا بعض وعلاقتهم استمرت شهور.. لإن ببســـاطة شديدة بشـــوف العلاقات دي اتبنـــت علـــى الاهتمام مش على الحـــب.. ومن أول مشكلة العلاقة هيحصل فيها شرخ ومعاملتهم هتتغير ويبطلوا يهتموا ببعض وتبدأ العلاقة تنتهي بالبطيء»

ممكن توضح أكتر حتى لو بمثال؟

دلوقتي أنا وانتي اتعرفنا على بعض من الفيسبوك وبعد فـــترة اعترفتلـــك إني بحبك ســـاعتها انتي هتفهمـــي إني بحب مين؟

بتحبني أنا؟

غلط..

«ســـاعتها هتفهمـــي إنـــي حبيت الصـــورة اللي رسمتهالـــي عـــن طريق كلامـــك.. حبيت صفات الشـــخصية اللي كانت بتكلمني من ورا الشاشـــة.. حبيت اهتمامـــك واحتوائك ليـــا.. لكن حبيتك انتي! مستحيل.. الحب على السوشيال ميديا هو حب

لشخصية وهمية مش موجودة في الحقيقة ولو العلاقة استمرت وظهرت للنور؛ أقصد شوفتك في الواقع هتصدم بيكي.! هتصدم بعيوبك اللي ماكنتش أعرف عنها حاجة.. هتصدم بردود أفعالك وبرود مشاعرك.. هتصدم وأدرك وقتها إني حبيت واحدة تانية، مش هي دي انتي اللي كانت بتكلمني على الفيسبوك ولا ده أنا اللي كنت بكلمك..»

عندك حق.. شكرًا ليك.

- رن هاتفي وقطع الموسيقى التي كنت استمع إليها، بالتأكيد المتصل سوف يكون مرام، أمسكت هاتفي لأكتشف أنها رسالة وليست مكالمة كما توقعت.. لكن لا بأس.. فبالتأكيد مرام أرسلتها لي لكى تعتذر عن التأخير وتخبرني إنها قادمة..

ضغطت على زر العرض.. لتظهر لي الرسالة كاملة،

«ازيك يا مكرم؟ يا رب تكون بخير، أنا آسفة على الطريقة اللي بكلمك بيها، بس أنا في الحقيقة محرجة منك وخايفة من رد فعلك، فبعتلك رسالة على التليفون عشان متأثرش بردك وأحس بذنب لإني

عارفة الموضوع مش سهل عليك.. لكن ما باليد حيلة وخايفة أسكت وأكمل معاك أكون بظلمك معايا أو تقول عليا كدابة وخاينة..

مكرم، احنا أول أما رجعنا لبعض كنت مبسوطة جدًا لكن بعدها محستش بالاشتياق ليك، كإنك شخص عادي وأقل من العادي كمان، أنا آسفة بس دي الحقيقة أنا مابقتش حاسة من ناحيتك بحاجة، صدقني ده نصيب والحب عمره ما كان بالغصب وأنا مليش ذنب في حاجة، أنا فجأة لقيتك شخص عادي انطفى نوره في عيني ومبقاش يلمع ولا قلبي بقي بيدق لما يكون معاه.. أنا مش عارفة أنا بقول إيه في الرسالة ولا مرتبة أفكاري.. كل اللي عايزاك تعرفة إن فراقي مش بسبب شخص جديد دخل حياتي ولا حبيت حد غيرك.. أنا أقسملك إني ماحبتش حد زي ما كنت بحبك.

آه كنت يا مكرم.. أنا عارفة إن الكلمة دي هتوجعك بس لازم تواجه الحقيقة.. لازم تفهم إن علاقتنا خلاص انتهت ومش هترجع تاني.. أنا عارفة إن الرسالة بتاعتي قاسية بس هتعلمك تقف على

رجلك ويمكـــن تكرهك فيا وأتمنى ده اللي يحصل.

وفي الختام أتمنالك كل الخير وأتمنالك ســـفر ممتع واتمنى تعدي الفترة دي بســـرعة وتنساني زي مانا نسيتك وهكمل حياتي بدونك.. وخليك فاكر الحياة مش بتقف علـــى حد ومفيش راجل بيعيط يا مكرم! مع السلامة»

***

قرأت الرسالة ثم دخلت الحمام وحينها لم أستطع منع نفســـي من الضحـــك، «للصدمات معادلة كل ما يزيـــد حجم الكارثة يزيد معـــدل الضحك ومن ثم تنهـــار من البكاء» وهذا الـــذي حدث معي انهرت من البكاء بعدما أخرجت مذاكراتي من حقيبة اليد وكتبت الذي حدث كي أســـتوعب الامر، لكن عقلي رفض تصديق أنها رحلت للأبد! كيف يصدق وهي.. «ذاته» بالمعنى الحرفي للكلمة.

الرسالة كذب.. أكيد كذب..كل هذا هراء.. أكيد بتختبر مقدار حبي لها وتستكشـــف رد فعلى.. ازاي ترحل وتتركنى.. ازاي فتاة تنفصل عن والدها! إحنا لســـه راجعين من أسبوع ازاي ترحل! ازاي تبطل

تحبني وتراني إنســـان عادى! ازاي مشاعرها تموت من ناحيتى! ازاي تدعو الله إني أكون في أفضل حال وهي ليســـت معي! أكيد هناك خطأ ما..أنا متأكد من ذلك..مرام لم ترحل..رد علي يا إلهى! أخبرني إنها لم ترحـــل!! أخبرني إن كل هذا هـــراء وإنها بتختبر حبي لها!! أنت تعلم جيدًا بأنه لا يوجد في دنيتي إلاها!

***

٢٠١٨/٥/٤

استيقظت من النوم لأجد نفسي نائمًا على سرير يشبه سرائر المستشفيات.. نظرت حولي لم أجد شيئًا أســـتطيع من خلاله تمييز أين أنا.. الشمس تغطي الحجرة بأكملها.. حالة ســـكون تسيطر على المكان، حاولت القيام من مكاني لكن المحاولة بائت بالفشل، استســـلمت للأمر فـــلا يهم ماذا ســـيحدث لي وماذا ســـيكون مصيري.. فمهما حدث لن يكون أســـوء من رحيل «مرام»

سمعت صوت دق على باب الحجرة ثم فتح الباب..

- ازيك؟

- الحمد لله

- أنا الدكتور معتز.. أخصائي نفسي بمستشفى المعمورة للعلاج النفسي والإدمان.. والمشرف على حالة حضرتك..

- أنا إيه اللي جابني هنا.

حضرتك كنت في مطار برج العرب بالتحديد في الحمام..العملاء هناك سمعوك وانت بتضحك بشكل هستيري وبعدين سكت وطلع صوت أنين منك كإنك بتبكي ومن ثم سمعوك ارتطمت على الارض.. كسروا الباب وطلعوك كنت في حالة إغماء تام.. لحسن حظك كان فيه عيادة قريبة من المطار.. ودوك عليها وهناك فحصوك وكانت النتيجة إيجابية تمامًا..مسكوا مذاكراتك على آخر صفحة كنت كاتب فيها إن حبيبتك سابتك فجابوك على هنا لإنك مصاب بصدمة عاطفية نتيجة الفراق، ده اللي يخص شغلي.

أما اللي يخصني شخصيًا فأنا معجب بحضرتك جدًا برغم إني مليش في الكتب والقراءة لشباب جداد لكني شوفت الفيلم اللي صدر عن كتابك وعجبني..

الفيلم حلو وموثر جدًا وشجعني أقرا الكتاب والحقيقة إنه أحلي بكتير من الفيلم.. أنا سعيد إني شوفتك جدًا وحزين في نفس الوقت إننا اتقابلنا هنا!

يؤسفني إنك موجود في مستشفى نفسية، يؤسفني إنك لم تتجاوز الخامسة والعشرون من عمرك وكتاباتك كلها حزينة وسخط على المجتمع..

أنا عارف كويس إن مجتمعنا سيئ وبشع لكن يجب علينا التعايش والتأقلم معاه.. يجب علينا نغمض أعيننا عشان نعيش.. لازم نبتسم قدام الكل حتى لو جوانا وجع العالم كله عشان محدش يبص علينا بنظرة شفقة ولا حد يسخر من وجعنا!

لكن خليني أبقى صريح معاك أكتر من اللازم.. احنا عايشين في مقبرة.. بص حواليك هتلاقي كل حاجة سيئة.. هتلاقي كل الطرق تؤدي إلي طريق واحد.. وهو الانتحار!

«احنا عايشين في مكان مش مكانا.. مش دي مصر أم الدنيا اللي كنا بنسمع عنها واحنا صغيرين..الحزن بقى مسيطر على شوارعها..ملامح الناس باشت.. الكسل والاكتئاب أحب الأصحاب

للناس.. اليأس و«الخوف من بكرة» مسيطر عليهم..

البطالة بتزيد.. حالات تحرش واغتصاب كل يوم بتزيد عن اليوم اللي قبله والناس بتجيب الغلط عند البنات مش عليهم ولا على الحكومة.. حالات اغتصاب باسم الحب كل يوم.. ناس بتموت وهي رايحة تشجع فريقها الرياضي.. أهالي بتكسر أولادهم تحت مسمي الخوف عليهم.. أولاد بتقتل أهاليهم تحت تأثير المخدرات.. حالات انتحار بسبب صعوبة الامتحانات التعليمية في ظل إن مصر طلعت من تصنيف التعليم العالمي.. مباني بتميل على مباني بسبب جشع المقاولين والسكان هي اللي بتدفع التمن.. الحرامية بتسرق في عز النهار علني والناس بتتفرج.. ثورة دمرت بلدها ومكانتش قصدها غير التعمير وبس.. بيوت ربنا بتنفجر سواء كنائس أو مساجد.. مصحات نفسية مليانة شباب في العشرينات» صدقني مجتمعنا لا يصلح للحياة..»

تعرف في مرة نزلت بوست في جروب سري على الفيسبوك كله رجالة كنت بسأل شايفين المطلقات ازاي ولية ناس بيقولوا إنهم عار على المجتمع عشان

محتاج شـــوية معلومات عشان رسالة الدكتوراه اللي بكتبها فيها جزء عنهم.. وأنا متعاملتش مع مطلقات قبل كدة وحاســـس اللي كتبته كلام سطحي..

المهم.. لقيـــت كل الرجالة بتقول فيما معناه إن المطلقة مشـــكلتها إنها فشـــلت في علاقة مش أكتر أما بالنســـبة لـــ صفة عاهرة فـــــ ده نتيجة تخلف المجتمع.!

بغـــض النظر إن الكلام صح بـــس أنا متأكد إن مفيش حد مقتنع بالكلام ده وكلهم ادعوا المثالية..

الغريب بالنســـبالي في الموضوع؛ إن ســـبحان الله كل الناس على مواقع التواصل الاجتماعي ناضجين ومثقفين وكلهم عندهم اكتئاب وكلهم بيتســـابوا وكلهـــم ناس محترمـــة وكلهم بيكرهـــوا التحرش والاغتصاب.. مش عارف اللي بشوفهم في الشارع دول مين؟؟ من كوكب تاني تقريبا يا أســـتاذ مكرم؟

علي العموم أنا مضطر أمشـــي دلوقتي عشان أتابع باقي الحالات.. مذاكراتك على الطرابيزة جنبك ومعاها القلم وعلبة سجايرك! أتمنى متكتبش حاجة تتعبك.. مع السلامة!

تركني وأغلق باب الغرفة.. كان شـــابًا لم يتجاوز الثلاثـــين من العمر، يبدو على ملامحه الشـــيخوخة المبكرة.. عيناه زرقاوان وشعره أسود وبه بعض الخصلات البيضاء. لحيته كثيفة بطريقة عشوائية... يتحدث بشيء من الصعوبة وكأنه طفل يتعلم كيفية نطق الحروف.. أو كأنه مرتبك وخائف.

أشعلت سيجارة وأمسكت قلمي وبدأت في الكتابة.

«وحشـــتيني ومش لاقي سبب كافي يخليني أشتاق إليكي بعد ماطعنتيني في ضهرى.. دايمًا كنت متوقع إننا هنســـيب بعض للأبد بس ماكنتش متخيل إن اليوم ده هييجي بســـرعة كدة.. مشـــيتي ليه؟ انتي وعدتيني بـــدل المرة ألف! بالعكس كنـــتي بتقوليلي انت اللي هتسبيني وهتنساني بسهولة.. كنتي دايمًا بترفضي إني أسيبك وفجأة انتي اللي سبتيني كإني كنت مجرد ضيف ملهـــوش أي وجود في حياتك..

خليني أتحول من طفل بيدور على أمه إلي شـــاب ناضج لا يملك قلب ولا مشـــاعر..

نعم أنا اقتنعت إنك مشـــيتي خلاص.. أنا كنت عارف ومتأكد إن علاقتنا كانت هتنتهي في يوم من

الأيام، ومكنش عندي شـــك في ده لكن كنت بحاول أعافر عشان نبقى مع بعض لأطول وقت ممكن، كنت بحاول أشبع منك في الفترة دي.. بس قرار رحيلك جه أســـرع مما كنت أتخيل.. دلوقتي أصبح مصيري مثل مصير التلاتة اللي ارتبطي بيهم قبلي..

يؤســـفني إني أقـــول إنك عاهـــرة تبحثين عمن يعطيكي الحلوى وعندما تنتهي ترحلي عنه وتتركيه تايه في متاهة ملهـــاش أول من آخر..

***

أمسكت هاتفي وتفحصت الرسائل.. كنت أتمنى حينها أن أجد رســـالة تعتذر فيهـــا وتخبرني إن كل شـــيء ســـيكون على ما يرام وإنها ســـوف تكون معي للأبد.. لكن للأســـف لم أجد شيء..

***

الفصل الثاني

«أوقات كثيرة تبدأ البداية من نقطة النهاية»

أتي معتز من جديد وســـألني عـــن حالتي جاوبت بالحمد لله.. ثم ســـألته متى أســـتطيع الخروج..

انت زهقت مننا ولا إيه؟

قالها بسخرية ثم أكمل:

أي وقت تحب بس عليا إخبـــارك إن فيه ندوة عن الانتحار بكره، أتمنى تحضرها وهتبقى ضيف شـــرف فيها.

حســـنًا، أنا في أمس الاحتياج لحديث يمنعني عن الانتحار

نظر حوله كأنه يريد أن يقول شيء.

مالك؟

مفيش أنا كويس

عينك ليها رأي تاني

نظر إليَّ وعيناه تمتلئ بالدموع

أنا تعبان يا أســـتاذ مكرم، تعبان جدًا حاسس إني بنهـــار حرفيًا ومش قادر أصرخ ولا حتى قادر أعبر عن اللي جوايا واللي حاسس بيه ومليش ملجأ أهرب ليه..

احكـــي أنا ســـامعك واتأكـــد إن مفيش كلام هيطلع بـــرة ولا هســـتغله في الكتابة..

هحكيلك عن طفولتي

يوم ولادتي.. كان يوم فرح بالنسبة لأهلي.. يوم كان كله منتظـــره لأن أبويا أكبر واحد في اخواته وآخر واحد اتجوز وأنا أول مولود ليه.. بس للأســـف الفرحة مكملتـــش كتير لإني اتولـــدت وأنا عندي مشكلة..

هحكيلك باختصار شوية أنا ماكنتش بقدر أمشي على رجلي ولا أحبي زي بقية الأطفال.. والمشكلة دي طولت معايا لحد ماوصلـــت ٥ ابتدائي.. الفترة دي أسوأ فترة عيشـــتها.. نفسي أغمض عيني ومافتكرش حاجة منها.. أنا أهو عندي ٣٠ ســـنة بس الفترة دي تعبانـــي لحد دلوقتى.. الفترة دي كســـرتني وذلتني وكله كان بيضحك عليا ويسخر منى.. في المدرسة لما كان جرس الفســـحة يرن وكل الولاد تجري وأنا أمشـــي براحة واحدة واحدة.كانوا يشوفوني ماشي يزقوني وأقـــع وأحاول أقوم معرفـــش وأقوم بصعوبة وأشـــوفهم بيضحكوا عليا فتصعب عليا نفسي..

ده زائد أهلي ومعاملتهم ليا..حسسوني إني عبء عليهـــم وجبتلهم العـــار.... أقســـملك ده حقيقي وحصلي فعلا.. انت مستوعب إن طفل يحصله كل ده؟!

- وتمر الســـنين وينتهي الكابوس ده بـــ عملية.. والحمد لله قدرت أمشي زي البني آدمين الطبيعيين.. بس عـــارف؟ أنا مش راضي عن الفـــترة دي.. جوايا ســـؤال دايمًا ب ليه؟ لية يا ربى؟ اشمعنا أنا يحصلي كدة وأنا لســـه طفل؟..وبعديها على طول أستغفره وأتوب عن سؤالي وبعد شوية أرجع أسأله تاني وهكذا تتكرر الاسطوانة المشروخة.

ليه ماروحتش لدكتور نفســـاني يساعدك تعالج الألم ده؟

ضحك ونظر حوله كأنه يجمع الكلام

انت نسيت إني أخصائي نفسي وحافظ الكلام اللي بيقولوه الدكاترة؟

أجاوبك ببســـاطة لإني عارف لو روحت هيقولي ايه، هيقولـــي بالنص كده «مين فينا يابني معندوش

ماضي مؤلم.. ماضـــي نهش قلوبنا وروحنا.. ماضي ســـاب علامة في ذكرياتنا.. بس الشاطر اللي يعرف يتصارح مع نفســـة ومـــع ماضيه ويكمـــل حياته.. ربـــك ليه حكمة في ابتلاءك.. حـــاول ترضى باللي حصلك..صدقني لما تكبر هتنـــدم على الوقت اللي ضيعته فالتفكـــير في وجعك وهتـــدرك إن (الحياة قصيرة.. والمـــوت مش بيفرق بـــين كبير وصغير.. الشـــاطر اللي يســـتغل أكبر وقت لصالحه ويحاول يتمتع بيه في اهتماماته والحاجات اللي بيحبها بدل مايضيع عمرة كلـــه في -مفيش-).. ممكن كلامي ميعجبكش أو تكـــون سمعته من أهلك قبل كدة.. بس لما تكبر هتـــدرك إن كلامي عين العقل وهتفهم حقيقية الدنيا كويس»

هيقولـــي الكلمتين دول ويمشـــيني وأنا بردو مش هعمل بيهم رغم إن كلامـــه صح جدا.. بس هاتلي حد يشـــيل الحزن بدالي!

أنهي كلامه بابتســـامة تخفي الكثير من الوجع ثم دعاني للجلـــوس في الحديقة لنتنـــاول فنجاني قهوة، رفضت رغم احتياجي الشـــديد لشـــرب القهوة

مع النيكوتين لكن رغبتي في الهروب من ضجيج عقلي كانت أقوى، فطلبت منه منوم فوافق.. أخذت المنوم وذهبت في نوم عميق..

***

في صباح اليوم التالي

أيقظني معتز من النوم..

صباح الخير يا أستاذ مكرم!

أخرجت سيجارة من علبة السجائر وأشعلتها

أحسن دلوقتي؟

الحمد لله

ممكن أسألك سؤال؟

لا أحب الأسئلة ولا المتطفلين لكن الملل كان ينهش فيَّ فوافقت على طلبه.

انت ليه دايمًا لما حد يسألك عامل إيه بتكتفي بالحمد لله ولما انت تسال حد بتقوله كويس ولا تعبان! ومش بتخليه يقول زيك الحمد لله!

أضحكتني طريقة طرحه للسؤال كأنه طفل يتهته في الحديث.

لإني مليش في الكدب يا عزيزي، أنا عمري ما كنت كويس ولا أتوقع إن فيه حد في الكون كله كويس، كلنا بنحمد ربنا لأن الحمد في كل وقت سواء كنت كويس ولا تعبان..

أنا قريت ليك بوست قبل كدة كنت بتقول «متسألش حد عامل إيه» عشان هو هيقولك تمام وانت كمان هتقول تمام وفي الحقيقة ولا انت ولا هو كويسين..»

بالظبط..

أخبرني إنه متبقٍ على موعد الندوة ربع ساعة فقط، وعليَّ تجهيز نفسي.. استجبت لحديثه وقمت من السرير لأغير ملابسي ثم اصطحبني إلي مقر الندوة.. المكان كان مزدحمًا أكثر مما كنت أتوقع.. جميع الكراسي مشغولة بالمرضي النفسيين والدكاترة حتى أنني لم أجد كرسيًّا لأجلس عليه..

كنت أتلقى التحية من الجميع.. أظن أنهم يعرفونني جيدًا، يعرفون الكاتب مكرم عوض..

دقائق وبدأت الندوة بمناقشة موضوع الانتحار.. كان أحدهم يقول:

«الانتحار؟ كلنا بيجيلنا وقت ونبقي عايزين ننتحر، بس تفتكروا إيه الأسباب اللي ممكن توصلنا لكده؟؟»

الحقيقة لم يكن لدي فضول لأسمع باقي الحديث ولا أعرف الأسباب التي تجعل الشخص ينتحر، لأنه بالتأكيد أسباب الانتحار تختلف من شخص لآخر، وليس شرطًا أن تكون الأسباب قوية، بل على العكس؛ من الممكن لشخص أن ينتحر لسبب تافه من وجهة نظرنا، لكن بالنسبة له فهو سبب قوي ويسبب له وجعًا عظيمًا..

لكن...

كنت مضطرًا أن أحضر للنهاية لأنني وببساطة ضيف شرف...

***

أكمل الرجل حديثه قائلًا.. الندوة عبارة عن ضيفين هيحكوا عن تجربتهم في الحياة ومحاولاتهم في الانتحار وازاي تخطوا الوسواس الانتحاري! بس طبعًا هيحكوا من ورا الستارة حفاظًا واحترامًا لخصوصيتهم..

أول ضيف اتفضل..

اسمي مدحت عندي ٢٣ سنة حكايتي بدأت في ديسمبر ٢٠١٧.. بالتحديد يوم ٢٤ تاريخ ولادتي.. كانت ليلة مشئومة.. كانت أجواء ديسمبر مضطربة، أوقات تمطر بغزارة وأوقات الشمس تشرق وترجع تمطر تاني وترجع تشرق وهكذا تتكرر الأسطوانة المشروخة..

كنت يوميها مقرر الانتحار.. وتركت لوالدتي رسالة انتحاري! أنا فاكر كويس كل حرف كتبته.. كنت كاتب بالنص:

«أمي العزيزة، اليوم تميت ٢٢ سنة! خليني أكون صريح معاكي.. أنا بقالي ٣ سنين بعاني في صمت.. كل يوم كنت بنهار من العياط على سريري.. كنت

بمثل عليكي إني نايم لما كنتي بتخشي تتطمني عليا وأنا كنت وقتها ورقة في إعصار حرفيًا بتتأرجح يمين وشمال ملهاش ملجأ!.. أنـــا حاولت كتير أتعايش مع الحياة لكن فشلت.. الحياة سيئة جدًا.. مش دي الحياة اللي كنتي بتكلميني عنها وأنا صغير! كل طرق الحياة دلوقتي بتؤدي إلى طريق واحد.. وهو الانتحار!

أنا آسف إني هنتحر وأنهي حياتي وأسيبك.. أنا هفارق الجحيم اللي عايش فيه.. هفارق لإني فقدت كل شـــيء ومعنديش أمل إن بكرة هيكون كويس.. أنا بقالي ســـنة بفكر انهي حياتي ولا لأ عشان خايف عليكي من فراقي..

بس الحياة علمتني درس مهم وهو إن محدش بيموت على حد.. كله بيزعل يوم شهر سنة سنتين وهيعيش حياته عادي.. صدقيني أنا ميرضنيش أخليكي تتعبي ثانية بـــس انتي بردو مترضيش تخليني اتعذب في هذا العـــالم البائس.. خليني المـــرة دي ولأول مرة أفكر في نفسي وأبقي انانى.. سلام يا أمي هتوحشيني جدًا!»

سبت الرسالة على مكتبي ومشيت روحت للبحر.. مشـــيت في عكس اتجاه الموج وحاولت أغرق ومحستش

بحاجة بعديها غير إني صحيت في مستشفى.. وسمعت صوت آية قرآنية من التليفزيون كان الشـــيخ بيقول «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ» اعتبرتها رســـالة من ربنا ليـــا أو هي بالتأكيد رســـالة من عند الله.. وبالفعل صبرت وحياتي بدأت من جديد.. اشتغلت في شركة عمري ما كنت أحلم بيها ورجعت لحبيبتي.. و روحت أنا وأمي عملنا عمرة.. واتجوزت وحياتـــي بقت مســـتقلة وده بفضل ربنا..

***

الضيف الثاني اتفضل..

أنا مشـــكلتي غريبة شوية وممكن أغلب الحاضرين ميفهموهاش.. بس هحاول أبسطها على أد ماقدر.. من أربع شـــهور قـــررت أنهي حياتـــي.. كنت تعبان وطاقتي على التحمـــل والصبر نفدت.. كنت تعبان وماكنش فيـــه حل قدامي غير الانتحار.. مســـكت قلمي وبدأت أكتـــب اللي بيدور جوايا..

«ازيك يا أنـــا؟ اول مرة اكلم نفســـي في ورق.. مممم نفســـى؟ هي فين دي أصـــلاً.. أنا مش لاقي

نفسي! أنا معرفش أنا مين! أنا مليون شخصية في بعض.. مش مجرد أفكار بتقتحمني أو أصوات بسمعها ومشوش مابينهم أو حتى تقلب في المزاج.. أنا حاسس إني كام شخصية في بعض وكل شخصية مضادة للتانية وكل شخصية ليها تعب خاص بيها!

فصام؟! جايز ليه لأ! بس أنا حاسس بالشخصيات اللي جوايا ومريض الفصام مش بيكون مدرك لمرضه.. يمكن تبقى أصوات جوايا مش شخصيات أو حتى ممكن تكون أفكار متناقضة!»

أسوأ شيء في الوجود إنك متعرفش انت مين ولا إيه اللي جواك ولا انت بتعمل إيه هنا ومطلوب منك إيه! ودة سبب كافي يخليني أنتحر! وبالفعل حاولت أنتحر.. أخدت حقنة هوا بس خوفي من ربنا خلاني أحاول أبطل مفعولها.. فاتصلت بـ أخويا وقولتله.. جه بسرعة وأخدني وداني المستشفى.. فحصوني هناك.. والفحوصات أثبتت إني سليم تمامًا وإني معرفتش آخدها في الوريد..

وفي المستشفى حصل حاجة غريبة جدًا! الممرضة كانت منورة في عيني عن باقية الخلق! حسيت إني

بحبها ودة كان أغرب شيء بالنسبالي.. ازاي أحبها وأنا كنت بحن للي كنت مرتبط بيها وسابتني! حاولت أقاوم نفســـي وأبعد عنها بس نفسي كانت بتاخدني كل يوم للمستشفى عشان أشوفها وأملي عيني منها..

مريم! (اللي كنت مرتبط بيها) مابقتش بتيجي على بالي وفجأة الحياة احلوت في عيني كل ماشوفها.. ولقيت نفســـي معاها والأصوات اللي كنت بسمعها بطلت تيجي.. والأفكار المتناقضة أو الشخصيات اللي كنت حاسس بيها فجأة اختفت.. بس وجهة نظري عن الحياة متغيرتش..

أنا مؤمن بـــ إن الحياة بشعة لأبعد الحدود.. بس الحب هـــو اللي بيحليها في عيونـــا.. الحب هو اللي بيخلينا نعافر ونكمل ونبقى أسعد ناس حتى لو حياتنا مليانة مشاكل.. الحب هو اللي بيحل المشاكل بكل سهولة.. ويخلينا نرضي بحالنا.. ومش شرط الحب يكون علاقة عاطفية.. ممكن حب لشيء بتعمله أو حب لموهبتك أو حب لصاحب ليك أو حتى حب لأهلك..

***

الفصل الثالث

اللعنة يا إلهي! أين أنا وماذا أفعل.. لا أعلم لا أعلم.. كل الذي أعلمه هو أنني أعيش مع جماعة من المنافقين والمخادعين..

انتهت الندوة وانصرفت للحديقة..

جلست في الكافيتريا على إحدى الطاولات الجانبية الهادئة.. استقبلني الجرسون بابتسامة الترحيب، فطلبت منه فنجان قهوة ثم أشعلت سيجارة..

بحثت عن مذاكراتي فلم أجدها في جيبي فسرعان ما تذكرت أنني تركتها في غرفتي..

***

نظرت حولي لأجد فتاة في منتصف العمر تنظر إليَّ، يبدو أنها تراقبني.

دائما يحاوطني الشعور بالخوف والتوتر حين ينظر إليَّ الناس، الجميع يحقد عليّ لأنني مشهور، ولا أحد يعلم كم عانيت من شهرتي، كم مرة بكيت في غرفتي وحدي لأني أخاف من نظرات الناس وحديثهم، كم مرة انتابني التوتر حين يشير أحد المارة ناحيتي كأنني لص.. كم مرة انهرت من البكاء بسبب نقدهم لمظهري الخارجي..

***

وحين رأتـــني أنظر إليها، وقفـــت واتجهت نحوي. سألتني هل لديك مانع إن جلست معك، جاوبت بـــ لا

جلست ثم بدأت الحديث عن الخوف..

الخوف هو عدوي الأول يا أســـتاذ مكرم!! أســـوأ إحساس ممكن يحســـه الإنسان هو الخوف.. الخوف من بكرة.. الخوف من الفشل.. الخوف من الخذلان والألم.. الخوف من نتيجة حاجة نفســـك تعملها.. الخوف من المجهول! الخوف من ربنا! الخوف بيفسد لحظات ســـعادتى! دايما الخـــوف بيحطني في دوامة أسئلة ملهاش آخر زي.. وبعدين؟ إيه اللي هيحصل! إيه اللي مســـتنيكي! فتيجي الإجابة هي الانتحار!

ضحكت ثم أكملت حديثها!

حتـــى الخطوة اللي بتفصلني عـــن الانتحار مش قادرة عليها من خوفي من ربنا! أنا بموت بالبطيء من الخوف والوسواس القهري!

أخذت الرشـــفة الأخيرة من قهوتـــي ثم قالت لي المعذرة لكني كنت في حاجة إلى شـــيء مر أكثر من وجعي! ثـــم أكملت حديثها.

الاكتئاب.. الوســـواس القهـــري.. لعنة الخوف والفقدان.. المرض النفســـي عمومًا تملك مني، وأنا هصارحك أنا ضعفت.. ضعفت يا أســـتاذ مكرم..

أنـــا كدبت عليك.. أنا أخـــدت خطوة الانتحار خلاص.. أنا سرقت ســـرنجة من التمريض وأخدت الحقنة في الوريد..

اتصدمت ووقفت فجأة! حاولت أنده أي شـــخص كي يســـاعدني أُبطل مفعول الحقنة لكنها منعتني ووضعت يدها على فمي!

اهدأ يا عزيـــزي.. خلاص عزرائيـــل بيقرب مني وهقابل رب حنين وطيب.. محتاجة أطلب منك طلب وياريت توافق.. أنا نفسي حد يحضني.. حطني على صدرك عايزة أحكيلك على ســـر قبل ماموت!

لم أتحمل كلامها وبدأت في البكاء ووضعت رأسها على صدري..

أنا بكره أهلي كره العمى.. هما الســـبب في كل مشاكلي.. هما اللي وصفوني بألعن الصفات عشان

كلمت ولد زي أخويا بكل احترام! كنت بكلمه عشان عوضني عن أخويا..

أخويا اللي دايمـــا بيضربني في الرايحة والجاية.. واللي عمـــره ماحضني ولا ســـألني محتاجة حاجة! وأمي قالت عليا مش محترمة عشان بعوض أشخاص مكانهم! ولما عرفوا إني مريضة نفســـية ذلوني وقالوا عليا مجنونة.. وجابوني على هنا ومن بعديها محدش ســـأل عليا.. أنا بكرهم جدًا يا أستاذ مكرم!

قالت آخر كلامها والموت عانقها.. يا لها من مسكينة.

***

جاءت الشـــرطة كي تحقق في مســـألة موت فتاة الكافتيريا.. استجوبوني كي يحققوا معي أخبرتهم إني لا أعلم عنها شـــيء حتى أنني لا أعلم اسمها..

***

ذهبـــت إلى الغرفة فوجدت معتز في انتظاري ومعه ورقة الإرشادات الطبية.. سلم عليَّ وعانقني ثم طلب أن نصبح أصدقاء بالخارج.. اعتذرت له وأخبرته بأني أفضل الوحدة عن الأصدقاء..

ابتسم قائلًا..

بس أنا شوفت منشور ليك على الفيسبوك بتقول فيه «ســـاعات بيجـــي عليا وقت وأكـــون محتاج حد جنـــبي.. حد يحفزني. حد لمـــا أكون مخنوق أجري أترمي ف حضنه وأحكيلـــه كل حاجة مضايقاني.. حد يكون معايا في الحزن قبل الفرح.. حد يشاركني أدق تفاصيـــل حياتي واهتماماتي مـــن غير ما يزهق مني.. حد آخد رأيه في قرارات حياتي.. حد يعوضني عن حنان أهلي اللي عمري ماشوفته.. حد يكون ليا أنا وبس!»

امتلأ صوتي بالضحك وأنا أقول

الكلام لا يمثلني إنه مجرد منشور فقط..

***

«إنه مجرد منشـــور فقط» لا تصدق من يقول هذه المقولة.. فالجميع يكتب ما يدور بداخله وما يشعر به وما يعبر عنه.. لكن الخوف من نظرة الشفقة تجعلنا نكذب ونكابر..

***

صمت لثوانٍ ونظر إليَّ كأنه يعلم أني أكذب.

ثم ابتسم قائلًا..

متأكد إنك مبسوط وانت لوحدك!

لم أجب عليه وتركت الصمت يجاوب بدلًا عني.. لأني لا أحب الكذب.. أنا بالفعل لست سعيدًا بكوني وحيدًا منعزلًا عن البشر.. ولكني أحدث نفسي دائمًا عندما يدخل أي شـــخصا حياتـــي. حينها يصيبني التعب وأتخيل النهايات الحزينة وعودة الجحيم الذي كنت أعيش فيـــه مرة أخرى من جديـــد.. أتذكر أولئك الذين تركونـــي وخذلوني.. أتذكر الحقد والطعن من الظهر من أقرب الأشخاص لي.. لم أسعد بالوحدة أبدًا ولكني لم اشـــعر بالراحة والاطمئنان إلا وأنا وحيد.. بين الوحدة والعزلة حب متبادل وصادق.

***

رحـــل معتز.. أحضـــرت حقيبة الســـفر وفتحت الباب فاذا بشاب يتجه نحوي.. كان شابًا لم يتجاوز العشـــرين عامًا.. له شـــعر طويل ولحية خفيفة.. يرتدي قميصًا أســـود مع بنطالٍ أسود..

الكاتب العظيم مكرم عوض!

نعم.

أنا سعيد الحظ عشان شوفتك!

أنا ممتن للـــكلام اللي هتقوله عـــني بس أنا لازم أمشي دلوقتي!

مـــش هاخد من وقتـــك ربع ســـاعة.. أنا تعبان ومبعرفـــش أبوح بحاجة للدكاترة هنا.. أنا من حبي في كتاباتك مرتاحلك.. هحكيلك حاجة بسيطة يمكن أرتاح!

وافقت على طلبه وجلســـنا ســـويًا على السرير. أشعل ســـيجارته وبدأ يحكي قائلًا..

أنـــا تعبان، تعبـــان وجبت آخر نفـــس فيا، الحياة سيئة، ســـيئة للغاية وعبارة عن جحيم، واحنا عشان نعيش بنغمض عنينا وبنوهم نفســـنا إن الحياة وردية وكل شـــيء هيبقى تمام بكره. بس ده كدب، كدب صدقني..

الحياة لو كانت وردية ماكنش ربنا نزل آدم عقاب فيها، حتى أمي كدبت عليـــا لما قالتلي الحياة حلوة

للي يحبها، أو يمكن كلامها صح بس في أيامها هي، لما كانت الحياة أقل قسوة مما عليه حاليًا.

تحب أحكيلك مشاكلي اللي عانيت منها سنين؟ ولا أقولك أهم مشـــكلة في حياتي وهي مشكلتي مع أهلـــى؟ أو اللي زي أهلي، أنا مش حاســـس إنهم أهل أصلًا، معنى كلمة أهل يعـــني دفا وحنان واطمئنان وأمان وأنا عمري ماحســـيت بـــ ولا حاجة من دول.. عمري ما ارتحت ليهم، ولســـة عند رأيي إننا مينفعش نعيـــش مع بعض، أنا تعبت ومش قادر أتعايش معاهم ولا قادر أأقلم حياتي معاهم، هما كل حياتهم كدب ونفاق وخداع بالمختصر غلط في غلط.. ومبيعرفوش يعالجوا المشـــاكل، دايمًا زعيـــق وصوت عالي وضرب وإهانة.. دايما بيكسروا نفسى، وأكتر حاجة بتوجعني منهم إنهم بيســـخروا من وجعي واكتئابي اللي هما أساسًا السبب الرئيسي فيه..

تعرف يا أســـتاذ مكرم ولادتنا عبارة عن بذرة أهلنا حطوها في الحياة ولما بنكبر هما بيستلموا الحصاد.. سواء الحصاد إيجابي أو ســـلبي هما أساسها.. يعني بالمختصر الشديد الأهل هما أساس نجاحنا أو فشلنا،

أساس ضحكتنا أو عياطنا.. أساس الأمل والتفاؤل أو المشاكل والإحباط اللي احنا عايشين فيه..

بس أرجع وأقول.. ده يمكـــن ابتلاء من عند ربنا وبيختبر صبري وهيشـــوفني هحمده ولا لأ!

***

أعجبتني أفكاره وفلسفته عن الحياة والأهل وقلت له.. تتمنى أهلك يكونوا عاملين ازاي!

أتمنى أهلي يكونـــوا صحابي قبل مايكونوا أهلي. بيعرفوا يعني إيه احتـــواء.. ومش معترفين بالضرب والتعصب.. يكونوا حابـــين يفهموني ويدوني طاقة إيجابية مش ســـلبية.. يعرفوا يهتموا بِ أدق تفاصيل حياتي من غير ماتســـبب ليا خنقة.. يكونوا مؤمنين بِ إنهم زرعوا بذرة «نجاح أو فشـــل هما الســـبب فيه « مؤمنين بِ إن الاكتئاب ملهوش ســـن معين.

صدقني كون إن أهلك صحابك.. مبتتكسفش منهم ولا بتخاف تحكيلهم حاجة فـــ يفهموها غلط ويتعصبوا عليك.. كـــون إن أول حد بيخطر على بالك في أي مشـــكلة هو أهلـــك.. كون إن مفيش

حدود ف معاملتـــك معاهم وبتقـــدر تهزر قدامهم وأســـرارك معاهم وأســـرارهم معاك.. ده شيء مبهج جدًا بس للأســـف عمري ماحسيت بِـــ ولا حاجة من دول!

***

أنهى كلامه قائلًا.. شكرًا إنك سمعتني..

ربتُّ على كتفه ثم خرجت وغادرت المستشفى..

الفصل الرابع

٤:٠٠ م

استيقظت من نومي لأجد نفسي على سريري وفي بيتي! سرعان ما تذكرت أنني غادرت المستشفى بالأمس..

أحضرت فنجانًا من القهوة وأشعلت سيجارتي ثم جلست على الطاولة..

فتحت الحاسوب لأقرأ الرسائل البريدية الجديدة.. كانت أغلب الرسائل تحمل الأمنيات بشفائي العاجل.. اندهشت حينها.. في الحقيقة لم أتوقع أن خبر دخولي المستشفى سوف ينتشر على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن لا يهم..

نشرت خبر خروجي من المستشفى وعودتي لحياتي الطبيعية من جديد.. لكن هذه المرة حددت وقت سماع المشاكل لمرتين في اليوم الواحد..

ضغطت على زر إظهار أول رسالة.. كانت الرسالة على هيئة سؤال من فتاة تدعى يسرا.. كانت تسأل لماذا نعيش؟

أشـــعلت ســـيجارة أخرى وأخذت أفكـــر في إجابة الســـؤال.. الحقيقة أنـــا لا أحب الأســـئلة من هذا النوع.. لأنها تشـــغل حيزًا كبيرًا من تفكيري.. وفي النهاية لا أصـــل لإجابة مقنعة.

وفجأة استشـــهدت بآية قرآنيـــة (ما خلقت الجن والإنـــس إلا ليعبدون)

ردت عليا قائلة..

رُدْ عليا بعيدًا عن الدين والروحانيات أو ســـبني أنا أرد لو مش لاقي رد

اتفضلي..

احنا عايشين عشان نتوجع ونتعب ونعيط ونعافر في حيطة سد.. عايشين عشان نحس بالعجز لما نكون عايزين حاجة ومنقدرش عليها.. عايشين عشان ننهار كل يوم من التعب والإرهاق.. عايشين عشان ندخل في دوامـــة من الذكريات والحنين والاشـــتياق لناس باعونا ومشـــيوا.. احنا عايشين عشان نتألم فقط يا عزيزى..

عظيم..

هو إيه اللي عظيم؟

كل كلامك بيدل إنك كويسة!

إحساسك بالتعب ده شيء عظيم مش هتعرفي قيمته غير لما تفقديه.. الخوف يا عزيزتي على الناس اللي بطلوا يحسوا.. الخوف على الناس اللي مابقتش بتعرف تعيط.. دول اتدمروا حرفيًا، خلاص مبقاش فارق معاهم حاجة إحساسهم مات.. بيتعاملوا بكل حاجة بمنتهى اللا مبالاة أما الناس اللي لسة بتعيط وبتتعب دول لسة بيتأثروا وإحساسهم حي.. وعندهم شغف لحاجات كتير.. كتر العياط مش بيموت ولا حاجة. بالعكس الناس اللي مبتعيطش دي ممكن تموت في أي لحظة..

شعرت للحظة أنها صعقت من إجابتي، بالتأكيد ليس لديها رد.. فقط أنهت الحوار وشكرتني على وقتي..

***

الرسالة الثانية كانت من شاب يدعي كريم فهمي.. كان يقول:

الويسكي خسرني صاحب عمرى!

تخيل لو نزلت الجملة دي في بوست على الفيسبوك.. إيه اللي هيحصل؟ أكيد الناس هتسيب الموضوع ويمسكوا في كلمة ويسكي ويشتموا فيا عشان شربت خمرة وتعليقات فيها ترهيب ديني..

ومحدش فيهم هيلتمسلي عذر ولا حد هيسألني «طب شربت ليه» ولا حتى «خسرته ليه»

الحقيقة المرة إن أغلب الناس مابقتش تطاق.. لو حد فيهم شافك بتعمل حاجة غلط هيفضحك بالمعنى الحرفي للكلمة وكله هيضحك عليك ويشمت فيك وقليل جدًا اللي هيساعدك تبطل الغلط وتمشي في الطريق الصح.. كلامي ممكن يكون متناقض مع كلام أمي ليا وأنا صغير لما قالتلي «زي ما فيه الحلو فيه الوحش» لكن للأسف الكلام ده مش صح. الحقيقة إن الوحش غطى على الحلو..

والسخرية من وجع الناس بقت من الصفات الأساسية للبني آدمين..

أما بعد،

خليني أجاوب على الأسئلة اللي ذكرتها.. شربت ليه؟؟ عشان حاولت أنسى آخر سنتين من عمري.. حاولت أفقد الوعي.. حاولت آخد بريك عن التفكير في مشاكلي.. شربت عشان حاجات كتير لكن للأسف المحاولات بائت بالفشل وماخدتش غير ذنب عظيم عند ربنا ونهيت علاقتي ب صاحب عمري.

نهيت العلاقة عشان الويسكي كشفه على حقيقته.. كشف الجانب المظلم منه.. أنا فاكر اليوم ده كويس لما اتقابلنا وقولتله إني محتاج أفقد الوعي وأشرب خمرة قالي وأنا كمان..

وروحنا اشترينا إزازة ويسكي ٤٠٪.. أنا شربت ربع الإزازة وهو شرب الباقي.. أنا ماحصليش حاجة وهو فقد الوعي.. أنا كنت ثابت وهو انهار من العياط. وفجأة لقيته بيشتمني وبيقولي.

«أنا على طـــول بحســـدك.. كل ماتحكيلي عن علاقتك بحبيبتك بقول اشمعنا هو فيه إنسانة بتحبه وسعيد معاها وأنا الإنسانة اللي حبيتها ماحبتنيش.. بحسدك كل مابشوفك بتضحك وسط أهلك وهما قريبـــين منك.. وأنا أهلي أبعد ناس عني وبحســـهم مـــش بيحبونى.. تعرف؟ يوم مـــا والدتك ماتت أنا كنت أســـعد واحد في العالم، أخيرًا شـــوفت حاجة كسرتك.. عمرك ماهتحس بالنار اللي جوايا كل ما أشـــوفك فرحان.. أنا بكرهك.. بكرهك جدًا»

سمعت كلامه الممـــزوج بالعيـــاط واتصدمت.. كانت صدمة كبيرة.. صاحـــبي اللي متربي معايا من واحنا في حضانة طلع بيكرهني وبيتمنالي الشـــر! عمـــري ما كنت أتصور إن صاحبي بيحســـدني على حاجـــة ناقصـــة في حياته! أنا كنت بحســـبة بيفرح لفرحتى! ٢٠ ســـنة وأنا مغفـــل وعايش في وهم معاه!

روحـــت بيتي مش عارف أســـتغفر ربنـــا على ذنبي ولا أشـــكره عشـــان وضحلي حقيقة صاحبي! صليت واستغفرت ربنا.

وبعديهـــا قعدت لوحدي أفكر كام واحد زي «عبد الرحمن»؟

كام واحد بيتمنى الجحيم لصاحبه.. كام واحد بيحســـد صاحبه على حاجة مش عنده.. كام واحد بيفرح لما يحصل لصاحبه أي حاجة سوء.. كام واحد بيضحك في وش صاحبه ومن وراه بيطعنه في ضهره!

أخدت منوم ونمت بس قبل ما أنام قررت ماصاحبش حد تاني وأفضل وحيد وانطوائي بس لما صحيت قعدت على مكتبي ولقيتني بفتح لاب توب عشـــان أكلمك وأحكيلك كل حاجة..

- العزلـــة والانطوائية مش حل للي حصلك.. ده اسمه هروب وعمرك مـــا هترتاح فيه.. الحل الوحيد هو إنك تواجه مشـــكلتك وتتصـــارح معاها وتنقي صحابك كويس..

عمري ماهرتاح فيها ازاي! أنا عمري ماشوفت راحة غير وأنا لوحدي.

- دي اسمها راحة مؤقتة.. أو انت بتوهم نفسك إنك كويس فبالتالي بتحس بالراحة.. إحساس الوحدة عمره ما كان راحة.. دي كدبة وكلنا بنحاول نصدقها عشان مش لاقين حد يستاهل كلمة «صاحب»..

***

الفصل الخامس

مر شـــهر على فراقي لمـــرام كانت فترة صعبة إلى أبعد الحدود.. كنت أســـتيقظ من النوم ثم أحتسي القهوة وأرد على الرســـائل ثم أتابع المارة من الشرفة عســـى أن أجد ملامحها في وجوه البشر.

***

٢٠١٨/٦/٢

اســـتيقظت من النوم لأجد رســـالة من مرام على الهاتف.. حينها لم أتمالك نفسي من البكاء.. مرام رجعت لي مرة أخرى! ســـجدت لله وشـــكرته قبل أن أضغط على زر العرض.. وحين انتهيت من السجود.. أمسكت الهاتف وضغطت على الزر لكن للأسف ظهرت رســـالة بـــ أن البطارية فارغة وعليَّ إعادة شـــحنها مرة أخرى! أشعلت ســـيجارة لكي أهدئ من عصبيتي ووضعت الهاتف على الشاحن الكهربي.. ثم أحضرت مذاكراتي وبدأت في كتابة إحساســـي تجاه مرام..

«مرام أهلًا بيكـــي في عالمي من جديد.. بالتأكيد مقدرتيش تعيشي من غيري والفراق نهش روحك.. أكيد دخلتي في دوامة من الذكريات والحنين ليا زي منا دخلت بسبب فراقك عني..

تعرفي؟ للحظة ما حسـيت إنك عمرك ماحبتيني لإن يا حبيبتي اللي بيقرر يفارق، بيفارق بسلمية تامة من غير ما يوجع التاني.. هو بالتأكيد في الأول وفي الآخر اسمه فراق وأي فراق مهما كان ظروفه بيوجع لكن الشـخص لما بيمشـي بيحاول على قد ما يقدر يقلل الوجع اللي هيتركه للشـخص التاني حتى لو بطل يحبه أو حبة اتحول لـ كره..

فيه حاجة اسمها احـترام للماضي واحترام اللي كان ما بينهم.. وانتي ماحترمتيش كل ده وقتلتيني وانتي ماشـية.. وقعدتي تتضحكي عليا وأنا بطلع في الروح.. لكـن عارفة مش مهم كل اللي قولته ومش مهـم انتي عملتي إيه لما قررتي تبعـدي.. المهم إنك رجعتيلي من تاني وأنا مسـامحك على كل الوجع اللي مريت بيه بسـببك.. بحبك يا عزيزتي»

***

أمسكت الهاتف وضغطت مطولًا على زر «التشغيل» لكي يعود إلى عمله مرة أخرى وأقرأ الرسالة، ضغطت على زر العرض وصُعقت.. صعقة من جديد تقتلني! كانت الرسالة على هيئة دعوة لحضور حفلة زفافها..

حاولت أن أتمالك أعصابي هذه المرة لكن للأسف نفسي خانتني وسقطت أرضًا.. لكن الغريب في الأمر هو أنني لم أصرخ.. لم أبكي.. لم أنهار.. لم أستطع استيعاب الأمر من الأصل.. حاولت أن أقوم من مكاني وبالفعل وقفت واتجهت نحو صندوق التمريض وأخذت قرص منوم.. ثم ذهبت في النوم..

***

استيقظت لأجد نفسي نائمًا على الأرض.. كان عقرب الساعة يشير إلى منتصف الليل.. أمسكت هاتفي وبحثت في قائمة الأرقام على أي شخص كي أتصل به وأخبره إني متعب جدًا وأحتاج لعناق أبوح فيه بكل أوجاعي لكن للأسف لم أجد أحدًا يستحق هذه الثقة أو في الحقيقة لا يوجد أحدًا في هذه البلدة يريد سلامتي أو يهمه أمري.. شيء مؤسف أن يكون في حياتك أشخاص يدعون أنهم أصدقاؤك وأهلك وحين تنهار لا تجد من يربت على كتفك ويعتذر لك نيابة عن العالم.

كالعادة أحضرت مذاكراتي لكي أكتب ما يدور بداخلي.

«مـــرام.. أحييكي على كل أفعالك اللي بتقومي بيهـــا.. الحقيقة إنك فنانـــة في تدمير كل الناس اللي بيحبوكى.. وقادرة تخلي أي حد يكرهك بعد ماكان روحه فيكي.. لكن للأسف أنا مش واحد من دول.. بعـــد كل اللي عملتيه معرفتش أكرهك أو الصراحة بكابر وبحاول أوهم نفسي إني لسه بحبك.. عايز أقولك إن صورتك زي ماهي في عيني متهزتش وهتفضلي زي مانتي طفلـــتي وبنتي حتى لو اتجوزتي هفضل الأب اللي مستني رجوع بنته»

أغلقت المذكرات وقمت بإشعال النار بها.. الحرق كان بمثابة بداية لحياة جديدة.. حياة جديدة بدون مرام..

***

أحضـــرت معي ورقة وقلـــم ووضعتهم في جيبي ثم خرجت من المنزل لكي أتمشى على البحر.. الحقيقة أنا والبحـــر بينا كره متبادل ولم نتفق على شـــيء قبل ذلك.. لقد ســـلب مني كل شـــيء حتى أقرب الأشـــخاص لقلبي.. صديقي أحمد

أخرجت الورقة والقلم من جيبي وبدأت في الكتابة..

ازيك يا أحمد؟ أنا عارف إني مجنون عشان بكتب رسالة ليك وانت ميت من ٨ سنين. بس ما باليد حيلة معنديش طريقة أتواصل معاك غير بالرسايل..

«ازيك يا عزيزي عايز أقولك إني لسة فاكرك.. لسة فاكر أدق تفاصيل حياتك رغم إن مر على فراقك سنين.. لسة فاكر آخر فلوس إديتهالي وماكانش معاك غيرها وفرحتي بيها.. لسة فاكر ضحكتك وملامحك. لسة فاكر قعدتنا على الشاطئ.. لو كنت أعرف إن دي آخر مرة أشوفك فيها كانت هتفرق كتير.. بس انت مشيت وارتحت من مستنقع غابتنا وسبتني وحيد مرمي في بلاد غريبة ملامحها كلها قسوة وأنا لسة طفل مبيديش غير البكا والسهر والليل وعذابه.

مش ناوي يا عزيزي تزورني بقى في حلم؟!»

انتهيت من الرسالة وضحكت بشكل هستيري.. شيء غريب!.. أول مرة أضحك بعد رسايلي لـ احمد. دايمًا كنت أنهار من البكاء.. ماذا يحدث!! رد عليَّ يا الله!! مزقت الورقة.. وأخذت ورقة أخرى

وكتبت رسالة ثانية!! اللعنة ماذا يحدث.. أشعر بأن هناك قوة تحركني رغمًا عني.. أمسكت القلم وكتبت رسالة أخرى.

«مساءك ورد يا صاحبي.. فات على فراقك ٨ سنين.. في ٨ سنين دي حاجات كتير اتغيرت ده لو ماكانش كل حاجة.. يا تري لو كنت عايش كنت هتفضل معايا؟ ولا هتسبني زي كل الناس اللي سابونى! تعرف؟ أغلبنا غلابة لما حد يكون غالي علينا ويموت.. بنقعد نتعذب على فراقه ونسينا إنه لو كان فضل عايش كان الزمن غيره وسبنا ومشي وعاش مع ناس غيرنا!»

امتلأ صوتي بالضحك مرة أخرى حين اقتحمتني مشاعر نحو مرام.. صوت الضحك ارتفع اكثر من اللازم وبدأت الناس تنظر إليَّ باستغراب..

***

مرام..

مرام تشبه البحر تمامًا.. جميلة من الخارج لكن أول ما تتعمق فيها من الداخل بالتأكيد سوف تغرق

وتأخذ منك كل شيء.. ومهما شعرت أنك تعرفها سوف يأتي موقف عابر يأكد لك أنك لا تعرف عنها شيء.. ومهما شعرت أنك عزيز عليها سوف تبيعك في أقرب فرصة متاحة وتسلب روحك..

- الكاتب مكرم عوض؟

صوت من الخلف قطع حبل أفكاري.. كان الصوت صادر من فتاة في منتصف العمر..

أشعلت سيجارة ونظرت لها ثم أجبت بـ نعم

أنا معجبة بكتاباتك جدًا ومستغربة من عمرك.. كتاباتك بتدل إنك شخص عجوز عنده خبرة كبيرة في الحياة.

ابتسمت ولم أجب عليها.

- أكيد طبعًا قريت كتير عشان توصل للي انت وصلتله.

امتلأ صوتي بالضحك.

بغض النظر عني.. أنا مش مقتنع بجملة «القراءة الكثيرة تجعل منك كاتب عظيم».. الكتابة مش

محتاجة غير وجع عظيم وتجارب تكتبي عنها.. أديكي مثال بسيط.. انتي لو قريتي كتب عن تجارب الناس مع النار وازاي اتحرقوا منها هتكتبي خلاصة اللي انتي فهمتيه منهم.. أما لو جربتي تلمســـي النار هتكتبي ساعتها شعورك واحساسك عنها.. فهمتي؟

- انت شخصية عظيمة فعلًا..

***

عدت إلى المنزل بعدما شـــكرتها علـــى حديثها.. كانت الساعة حوالي الثالثة صباحًا.. قمت بتجهيز حقيبة الملابس والأغراض الشـــخصية ووضعت أيضًا أربع علب من الســـجائر.. وعند انتهائي من تجهيز الحقيبة.. تجولت في المنزل لأودع كل شـــيء كأنني لن آتي إلى هنا مرة أخرى..

أشـــعلت سيجارة أخرى وجلســـت على الطاولة.. وأخذت أفكر فيما ســـيحدث لي..

دائمًا كانـــت تأتي الإجابة بالانتحـــار هو الذي ينتظرني غدًا.. لكن هذه المرة قررت أن أعطي لنفسي فرصة أبدأ فيها حياة جديدة.. لكن سرعان ما فاض

بركان المشاعر واقتحمتني الأفكار المتعلقة بـ مرام..

وأخذت أسأل نفسي كيف عليَّ أن أبدأ حياة جديدة بدونها.. كيف عليَّ استيعاب فكرة السعادة بدونها من الأصل.. وهنا بدأت المعركة بين قلبي وعقلي.. بين حياة قلبي راسمها وبيتمناها وبين عقلي الذي يرفضها.. صدق الذي قال إن أصعب الصراعات هو الصراع الذي يحدث بداخلك نتيجة حرب بين قلبك وعقلك..

قاطعني صوت جرس الساعة ليخبرني بأنها السابعة صباحًا وأن عليَّ التحرك الآن.. وبالفعل أخذت الحقيبة وخرجت ركبت تاكسي لكي يوصلني إلى مستشفى المعمورة للعلاج النفسي والإدمان.

وحين جلست على المقعد أخذت أقول لنفسي..

«اهدأ يا مكرم.. اهدأ يا عزيزي.. لا يوجد شيء يستدعي توترك وقلقك.. كل شيء سوف ينتهي.. كل هذا الهراء سوف ينتهي وتبدأ حياة جديدة.. حياة رمادية مثل لون مذاكراتك الجديدة التي اشتريتها قبل أن تركب التاكسي»

شكل حضرتك متوتر.. انت رايح تزور حد هناك؟

صوت سائق التاكسي قاطعني..

الحقيقة كنت سأرد عليه ردًا غير لائق لكن سرعان ما تذكرت أنني قررت أن أبدأ حياة جديدة.. فحاولت أن أكون لطيفًا معه وأجاوب على أسئلته..

لا أنا رايح اتحجز أغير جو وأحاول أفصل عن العالم الخارجي شوية.

ضحك بسخرية..

حضرتك تقريبًا ماروحتش المستشفى دي قبل كدة.. هناك الحالات الحرجة.. اللي بيدخل فيها بيكتئب أكتر.. انت شكلك مش بتقرا جرايد صح؟

آه فعلًا مش بقرا.

من يومين الجرايد نشرت خبر انتحار دكتور كان بيشتغل في المستشفى.. غرضي من الخبر إن الدكاترة اللي شغالين فيها بينتحروا ما بالك بقى المرضي اللي هناك بيعملوا ايه؟ بس عارف بردو أنا فرحان إن الدكتور انتحر وراح في داهية.. تعرف ليه؟

- ليه؟

لأن اســـتغفر الله العظيم.. اســـتغفر الله العظيم كان ملحد ونشر رسالته الانتحارية على النت كان بيسخر من حديث..

- انت مؤمن بوجود ربنا وهو مؤمن بعدمه.. انتم الاتنـــين وجهة نظركم تحترم مهمـــا كانت غريبة علينا.. في الأول والآخر انتم بشـــر وبني آدمين واجب علينـــا نحترمكـــم.. وصدقني انـــت متعرفش مكانة الراجل اللي انتحر ده عند ربنا إيه.. الشـــخص اللي بيلحد بيلحد بعد عذاب مـــن التفكير والمعاناة..

بالفلسفة بتاعتك دي باين عليك ملحد؟

ضحكت واكتفيت بالاستغفار عن سؤاله..

وذهبت إلى عـــالم الذكريات.. كان يقول والدي إن الإنســـان الملحد يشـــبه تمامًا مصبـــاح الكهرباء المحروق.. المصباح يحترق حـــين يزداد فولت الكهربا أما الشـــخص الملحد بيلحد حين يـــزداد التفكير في المجهـــول أكثر من اللازم.

لا أحد يســـتطيع إثبات وجود الله من عدمه لكن يأتي الـــدور هنا إلى الإيمان.. الإيمان الداخلي للذي خلقنا جميعًا..

يا أستاذ.. يا أستاذ وصلنا.. ياااا بيه.

صوت السائق قطع رحلة ذكرياتي.. ابتسمت له وشكرته ثم اتجهت إلى بوابة المستشفى..

أخبرت مسئول البوابة إنني أريد أن أقابل الدكتور معتز.. نظر إلى جيدًا ثـــم قال: معتز تعيش انت... انتحر من يومين.

لم أستوعب الأمر.. سألته مرة أخرى.. معتز؟

رد بالدعاء لـــه.. رددت الدعاء معه وأغلقت عيني وذهبت في غفـــوة من الذكريات..

تذكرت مقابلـــتي معه وتذكرتـــه عندما حكي مشـــكلته عن طفولته.. تذكرتـــه عندما طلب أن نصبح أصدقـــاء وفي الختام تذكرت حديث ســـائق التاكسي عنه..

- طب أنا سمعت إنه ساب رسالة انتحارية.. ممكن ألاقيها فين؟

حضرتـــك ممكن تقابل دكتـــور طارق في مكتبه وهو صديق معتز وممكن يوريك الرســـالة..

شكرته واتجهت إلى المكتب.. استأذنت ودخلت..

أستاذ طارق؟

أستاذ مكرم عوض.. تعالى اتفضل..

انت تعرفنى؟

معتز الله يرحمه حكالي عنك وكان بيحبك

الله يرحمه..

أنا لســـة عارف دلوقتي الخبر ومشـــوفتش رسالته الحقيقة وعنـــدي فضول أقراها..

أنا لسة طابعها حالًا.. اتفضل..

أخذت الورقة منة وقرأتها باهتمام شديد

«يا الله هل تســـمعني؟ أنا عبـــدك الفقير معتز.. حابـــب أتكلم معاك عني وأحكيلـــك عن حياتي اللي انت عارفها طبعا.. بس حابـــب أتكلم يمكن أرتاح أو أتراجع عـــن فكرة الانتحار..

مبدأيًا أنا عندي إيمان بإنك موجود وحاسس بيا وعمري ما شكيت في ده.. أنا بس كل ذنبي إني سخرت من حديث.. الحديث بيقول «الجنة تحت أقدام الأمهات» سخرت منة عشان الكلام مخالف لأمي.. أمي كانت عاهرة الجسد والروح.. كانت بتخون والدي مع عشيقها..

في يوم والدي كان مسافر وأنا كمان كنت مسافر مع صحابي بس أنت تشاء يحصل حادثة في طريقي.. ف أرجع البيت ألاقي أمي نايمة في حضن راجل غريب على سرير والدي! كانت صدمة وصاعقة كهربية..

أمي اللي كانت بتكلمني عن الأخلاق والوفاء.. بتخون أبويا! أمي اللي كانت بتدعي الشرف على طول.. للأسف معندهاش ذرة منه.. أنا غبي! غبي لإني نسيت إن عادةً الإنسان بيتفاخر بالشيء اللي فاقده في شخصيته.. أمي كانت على طول بتتكلم عن الشرف والوفاء والإخلاص.. مفهمتش ساعتها إنها معندهاش ولا حاجة من دول!

***

قرأت الصفحة الأولى من الرسالة ولم أستطع إكمال الباقي..

وضعت الورقة على مكتب الدكتور طارق ودعيت بالرحمة لمعتز.. وحينها سألني طارق عن سبب عدم إكمالي لباقي الرسالة..

جاوبت بأنني حاولت أتخيل نفسي مكانه ولم أستطع من صعوبة الموقف وقسوته..

الفصل السادس

دعاني طارق للجلوس في الكافيتريا.. فاستجبت له وذهبنا إليها..

وهناك لم يكن يوجد ناس كثيرة لأن هذا الوقت كان موعد الغداء والأغلبية كانوا يأكلون طعامهم في غرفتهم..

انت جيت المستشفى ليه؟

صوت طارق قطع تأملي لوجوه المرضى.

جيت عشان محتاج أفصل عن العالم الخارجي وأقعد في مكان أسترخي فيه..

انت بتهزر صح؟ انت جاي هنا عشان تسترخي!

فعلًا دي حقيقة.

منصحكش إنك تقعد هنا.. أنا ممكن أقولك على مصحة كويسة تروح تقعد فيها..

أخبرني اسمها ثم تركني عندما جاءت فتاة تريد الجلوس معي.. كانت فتاة في الثلاثين من عمرها وجهها شاحب وتحت عينيها هالات سوداء وكانت ترتعش على ما أعتقد كانت متوترة وفاقدة أعصابها..

انتي كويسة؟

آه كويسة أو الصراحة مش عارفة أنا كويسة ولا لأ.. عايشـــة ولا ميتة.. والحقيقة مش فارقة معايا الإجابة..

أشعلت سيجارة وتركتها تكمل حديثها..

والحقيقـــة المـــرة إن اغلبنـــا مش عارفـــين احنا كويسين ولا لا.. عايشـــين ولا ميتين إكلينيكيًا.. بنتأثر بالأحداث اللي حوالينا ولا متبلدين المشاعر.. عندنا شـــغف للحياة ولا لأ.. وكل ده نتيجة تقلب المزاج اللي بيكـــون بمليون حالة في الثانية الواحدة..

صمتت لثوانٍ ثم قالت ضاحكة..

انت معزمتش عليَّ بـــ سيجارة

انتي بتدخني؟

الحقيقة آه.. أنا أصلًا جاية في إدمان ونفسى..

اتفضلي سيجارة.

أشعلتها وشكرتني.

انت أكيد دلوقتي بتقول عليا شمال عشان مدمنة.

ضحكت قائلًا

إطلاق الأحكام مش من طبعي.. أنا مين عشـــان أحكم عليكي أو على غيرك.. وبعدين أنا ضد كلمة شمـــال.. يعني انتي شمال واحنا يمـــين؟ وكمان أنا مليش في العنصرية.. ومش بشوف فيه فرق بين الولد والبنت.. الحاجة اللي مباحـــة للولد مباحة للبنت واللي مش مباح مرفوض ليا وليكي.. صدقيني الكلام ده اللي المفروض يتطبق ويلغي العنصرية..

انت كلامـــك أكبر من ســـنك زي ماسمعت عنك . .

***

اسمـــع يا ســـيدي أنـــا حكايـــتي بدأت مـــن يوم ٢٣/ ١١/ ٢٠١٤

التاريخ ده كان بداية المأساة اللي عيشتها أو نهاية حياتي.. والدي.. والدي هو اللي نهى حياتي لما قالي اتقدملك عريس وأنـــا وافقت عليه. كانت صاعقة بالنســـبالي ازاي يوافق من غير مـــا ياخد رأيي، ازاي

يوافق وأنا يمكن بحب حد ومستنياه ييجي يتقدملي، ازاي يوافق بالسهولة دي كأني ملكه؟ كأني حاجة هو اشتراها بفلوســـه وليه الحق يديها لأي حد على مزاجه!!

سألته مين ده اللي اتقدملى، رد قالي ابن صديقي وشريكي في الشغل محسن بيه.

رديت عليه.

«أنهي شـــغل ده يا بابا، أنا لحـــد دلوقتي معرفش انت شغال إيه! أعرف بس إنك مشهور وكله بيخاف منك وبيعملك ألف حســـاب ثم إنـــي مش موافقة ومش بفكـــر في الجواز دلوقتي»

- «بـــلاش كلام فاضي.. هو اتقـــدم وأنا وافقت، واجهزي كمان يومين ميعاد جوازك، انتي عارفة إني مبحبش أضيع وقت.. فانتي هتتجوزي على طول من غير خطوبة، واتفضلي يلا على أوضتك عشـــان عاوز أعمل مكالمة»

انصرفـــت من قدامـــه من غير مـــا أرد، هو أصلًا مســـبليش مجال أرد عليه. دخلت أوضتي وانهرت من

العياط، والدي شـــايفني ســـلعة بيبعها بمزاجه من غير ما ياخد رأيي أو شـــايفني صفقة بيتفق عليها مع شـــريكه، ولو رفضت هيحرمني من تليفوني والخروج من البيت ومش بعيد يحبسني في أوضتي ومش هيغير رأيه مهما حصل ومهما عملت.. خلاص جوازي بقى أمر واقع مفهوش نقاش..

محســـتش بنفســـي غير تاني يوم وأمي بتصحيني من النوم وبتقولي ياســـر عريســـك قاعد في الصالة مســـتنيكي عاوز يتكلم معاكي وتاخدوا على بعض قبل الفرح وده طبعًـــا بأمر من باباكي..

سألتها:

انتي موافقة على جوازي.

ردت:

«يا بنتي أنا عارفة انتي بتفكري في إيه وعارفة إنك مش موافقة عليه بس ما باليد حيلة، والدك قرر وأنا مقدرش أقف قصـــاده، مفيش حاجة بإيدينا غير إننا نوافق من سُكات»

وهو عايزني أنزل ليه؟

عشان تتعرفوا على بعض وتفهموا طبع بعض.

اسمعي يا أمي.. أنا اتعلمت من الحياة إن المظاهر خداعـــة.. دايمًا المقابلة الأولـــي كل واحد «بيلبس قناع» على حسب الشـــخص اللي قدامه عايزه يكون إيه.. شـــخص محترم وبيصلي «بيلبس قناع الإيمان» شخص طيب وحنين «بيلبس قناع الاحتواء».. شخص بيهزر وبيضحك «بيلبس قناع الكوميديا».. شديد في المعاملـــة «بيلبس قناع القوة» عشـــان كدة مينفعش أحكم على حد غير لما أعاشـــره فـــترة.. ثم إني مش موافقة أتجـــوز بالطريقة دي نهائي يا أمي!

«نرمين» اسمعي الكلام واجهزي وانزلي.

نزلت وقابلته ومـــر اليوم ومفيش حاجة تذكر.. ومر يوم الجواز ومفيش حاجة تذكر بردو غير تهنئات سخيفة وكمية نفاق.

ومرت أيـــام جوازنا بحلوهـــا في البداية ومرها في النهاية.. مرت أســـوأ فترة عيشتها مع إني فرحت في البداية إني هربت من والدي ووالدتي بس اكتشفت إن لما تقبلي تتجوزي جـــواز الصالونات أو حتى جواز مصالح بين الأهل عشـــان تهربي من بيتك وأهلك

ومشـــاكلك معاهم ده أكبر غلـــط عملته في حق نفسك.. الجواز اللي يبقي من غير حب بيكون شبة المحكمة العســـكرية.. الغلطة بحساب ومفيش حاجة اسمها سماح ولا معلش من أول مشكلة هتواجهكم.. البيت هيحصله انهيار حرفيًا تتصبحي بخناقة وتنامي معيطة من الضرب..

وتمر الســـنتين وحالتي بتســـوء يوم بعـــد يوم.. ومفيش حد جنبي، والمســـالة بانت وطلع ياســـر مش بيحبـــني وان جوازنا ما هـــو إلا صفقة بتربط والدي بشـــريكه.. انهرت طبعًا لما عرفت إن والدي شـــايفني صفقـــة مش بنته الوحيدة وحتة منه، انهرت لما لقيت ياسر أبعد خلق الله عني، وكل يوم بيجيلي البيت وهو ســـكران وروج البنات اللي بيقابلهم على هدومه..

تعبت وكلمت حبيـــبي الأولاني، حكتله على كل حاجـــة ونصحني أقف قدام أهلي وجوزي واتطلق وإنه هيقف جنبي لحد ما أبقى كويسة وإنه لسه مستنيني ومش شـــايف غـــيري وعنده أمل إننـــا نرجع لبعض ونتجـــوز وبالفعل وقف جنبي لحد ماتطلقت وســـبت أهلي وهربت معـــاه لمدينة تانية وعشـــت معاه أحلى

أيام حياتي.. لكن للأسف الحاجة الحلوة عمرها مابتكمل للنهاية.. مات في حادثة من سنة.. انهرت ساعتها من قسوة القدر.. حسيت إن الحياة ضدي ومستكترة عليا أفرح حتى لو ثانية ومن ساعتها وأنا بقيت بتعاطي المخدرات عشان أفقد الوعي وأفصل عن العالم الخارجي وأحاول أنسى إن حبيبي مات.. بتعاطي عشان مش قادرة أتصالح مع مشاكلي.. وفضلت أتعاطى لحد ما حبيبي جالي في الحلم وكان زعلان مني ومرضاش يكلمني.. ساعتها قررت آجي أتعالج من المخدرات وأرجع زي ما كنت..

وهي دي حكايتي حاولت ألخصها ليك على قد ما أقدر.. وآسفة على إزعاجك.

متتأسفيش أنا متعود أسمع مشاكل الناس..

ومين يسمعك؟

لم أجب عليها وحملت حقيبتي وخرجت من المستشفى واتجهت إلى منزلي لكي أتابع آراء الناس حول انتحار معتز.

لكن للأسف لم أجد شيء لأنه كان هناك شخص آخر انتحر في نفس الأسبوع.. شاب في العشرينات ألقى بنفسه تحت عجلات القطار في محطة قطار رمسيس.. كانت رسالته الانتحارية الأكثر تداولًا على مواقع التواصل الاجتماعي والتي أدت إلى حدوث ضجة كبيرة لأنه كان شخصًا متدينًا وقريبًا من الله وأثبت أن الاكتئاب ليس له علاقة بالمسافات التي بين الشخص وربه..

ضغطت على عرض الرسالة كاملًا..

٣:٤٠م

- استراحة الركاب بـ محطة قطار رمسيس-

اكتب وأنا في قمة انهياري.. المرض أصبح ينهش في عقلي.. مش قادر أركز في أي شيء.. حتى الكتابة مش قادر أرتب أفكاري.. اللعنة.. إيه اللي بيحصل! أنا بدمع! نفسي هتخوني وهنهار من العياط!

ساعدني يا إلهي.. ساعدني أرجوك.. أنا في أصعب المواقف اللي ممكن تمر على أي شخص لما يكون موجود وسط ناس ويفضل يدمع ويبقي

ناقصله تكة وينهار!!! ســـاعدني أنا مش عاوز أنهار..

البني آدمين ألعن شـــيء في الوجـــود... ألعن من الشياطين نفســـها وأكثرهم شر.. هيسخروا مني لو عيطت! هيطلعوا تليفوناتهم وهيصوروني وهينزلوها على مواقع السوشـــيال ميديا وهتبقى أعلى نســـبة مشاهدة.. وهيكتبوا بالخط العريض «شاب لم يتجاوز الثلاثين عامًا ينهار من البكاء وسط الناس في محطة القطار» وألف واحد هيألف أسباب عياطي! منهم اللي هيقول عشان بنت سابتني أو عشان مش لاقي شغل أو عشان مليش مكان أعيش فيه وألف سبب غيره.. وقليل جدًا اللي هييجي يطبطب عليا ويقولي مالك؟..

- دموعي بدأت تنزل على الورق وتبله!

بحاول أمســـك نفسي وأتمالك أعصابي وأكمل كتابـــة! الاكتئاب! الاكتئاب بيتملك مني! اللعنة كل اللعنة على الناس اللي بتســـخر من الاكتئاب وبتقـــول علاجه بالصلاة والقرب مـــن ربنا! طيب أنا حافظ أغلب سور القرآن ومش بسيب فرض ومع ذلك مصاب بالاكتئاب ولعنة الفقـــدان وما أدراك بلعنة الفقدان.. صوت داخلـــي يهمس جواك كل ما حد

يقرب منك وبيوســـوس بإنه هيسيبك زي مـــ الكل سابك! ومصاب كمان بالوسواس القهري بالانتحار صوت جوايا كل شوية يقولي «انتحر.. انتحر مستني إيه! عاجباك حياتك؟ أقصد عاجبك الجحيم اللي انـــت عايش فيـــه! اقتل نفســـك وروح عند ربك.. أحن واحد عليك.. هو حاســـس باللي انت بتمر بيه وأكيد مش هيرضى يدخلك النار بعد العذاب اللي انت مريت بيه وبكل المشـــاكل اللي خلت روحك بين السما والأرض.. لا انت قادر تعيش ولا متبلد المشاعر مـــش بتحس ب حاجة أقصد ميت إكلينيكيًا»

يـــا إلهي أنا مش قادر أتحمل كل مشـــاكلي ولا قـــادر أوقف الأصوات اللي بســـمعها! والعلاج فشـــل يعالجني.. والكهربا بردو فشلت! وأنا مبعدتش عنك لحظة وبردو مفيش فايدة!! أنا خايف.. خايف أضعف وأمشـــي ورا الأصوات اللي بسمعها.. أنا نفسي أبطل تفكير في كل التفاصيل اللي عيشـــتها واللي بعيشها واللي هعيشـــها! أنا نفسي أرتاح عن كل الوجع اللي جوايـــا.. ولو اتكلمت بالمنطق مفيش حل قدامي غير الانتحار!

مفيش حـــل غيره.. أنا هطلع أرمي نفســـي قدام القطر.. كان نفسي تكون نهايتي أحسن من دي بس للأسف الأحلام بقت مســـتحيلة في عالمنا.. الوداع!»

أشـــعلت ســـيجارة وأخذت أفكر في الرســـائل التي تركها لنا هذا الشـــاب.. الحقيقة أنـــا مؤمن بأنه لا يوجد صلـــة بين القرب مـــن الله وبين الاكتئاب والأمراض النفسية وحاولت كثيرًا أوضح هذا للناس لكن كل محاولاتي باءت بالفشـــل..

يؤســـفني القول بأن أغلب الأشـــخاص معتمدين على الحفـــظ وليس الفهم.. هم لـــن يغيروا وجهة نظرهم إلا عندما يقعوا في نفس الموقف وهناك سوف يدركون حقيقة الأمر..

***

الفصل السابع

الحزن سيدوم للأبد، والبؤس لن ينتهي أبدًا

فينسنت فان جوخ

أغلقت الحاسوب وذهبت إلى المصحة التي أرشدني إليها طارق..

وهناك استقبلني مدير المصحة الدكتور خالد مصعب في غرفة الاستقبال.. كانت الغرفة مزينة بالبالونات واللوحات التي تحمل شعار «أنا إنسان من حقي أتعالج أول ماحس إني تعبان»

كان الدكتور شخصًا لطيفًا إلى أبعد الحدود؛ استقبلني بكل ترحيب كنت أظن أنه يعرفني بسبب وجهه البشوش لكني اكتشفت أن هذه معاملته مع كل المرضى.. أخبرته باسمي وبمهنتي؛ مدون على مواقع التواصل الاجتماعي وكاتب مشهور إلى حدٍ كبير.. أخبرته أيضًا عن سبب مجيئي لكنه رشح لي السفر للاسترخاء بدلًا من المصحة لكني رفضت..

ومرت الأيام ولا شيء يذكر غير أنني ندمت على رفضي السفر.. ندمت وتمنيت الزمن يرجع للخلف لكي أوافق..

الحقيقة هذه الفترة كانت سيئة وأسوأ فترة مرت عليَّ.. المصحة كانت تشبه دار المسنين من ناحية

طلاء الجدران والسـرائر.. لا يوجـد تليفزيون.. لا يوجد تكييف.. لا يوجد أي وسـيلة ترفيه..

كان الوقـت يمر ببطء شـديد.. كنت منعزلًا في غرفتي ولم أختلط بـ أي شـخص حتى العمال.. كلماتـي كانـت قليلة جـدًا مـع الجميع حتى الدكتور خالد مصعب لم أتحدث معه غير مرتين وفي المرة الثالثة طلبت منـه إذن الخروج من المصحة لأن لدي موعد مهم في الغد فاسـتجاب لطلبي وخرجت مـن المصحة بعدمـا قمت بتجهيـز حقيبة الملابس والأغراض الشخصية.

خروجي من المصحة كان بمثابة اكتشاف شيء جديد يبعث الأمل للحياة.. الحرية.. نعم الحرية.. إحسـاس جديد أول مرة أشعر به.. برغم أنني كنت حرًا طوال حياتي إلا أنني أول مرة أشعر أنني حر الآن..

صدق الذي قال إن الإنسان لا يشعر بقيمة الشيء إلا بعـد فقدانه.. لقد فقـدت الحرية في المصحة.. كنت جالسًا في حجرتي ولم أخرج منها طوال الأسبوع كما لو كنت أعيش في سجن بين أربعة جدران..

وعند خروجي ذهبت لطريق الكورنيش لكي اركب مواصلة تصل بي إلى المنزل وحينها قبل ركوبي نظرت للبحر.. كان لونه أزرق وكان الهواء حركته شديدة.. أمعنت النظر إليه؛ كان مظهره جميلًا للغاية.. أول مرة أرتاح للبحر أو لإسكندرية عمومًا.. شيء غريب! ألعن الأماكن لقلبي أصبحت أقربهم.. أو أصبحوا ألعن وأقرب الأماكن لقلبي في آن واحد.. أما بالنسبة لإحساس الحرية فكنت في غاية السعادة حينها..

الأجواء أرغمتني أن أجلس على الشاطئ وبالفعل ذهبت ودفعت رسوم الدخول وجلست على الرمال.. أخرجت مذكراتي من الحقيبة وبدأت أكتب عمَّا يدور بداخلي..

«في البداية أنا دخلت المصحة عشان كنت عاوز أقعد مع نفسي و أواجه مشاكلي وأحاول أتصالح معاها وأبدأ حياة جديدة لكن للأسف ده محصلش.. أنا دخلت فقدت حريتي وانعزلت في أوضتي بالغصب.. وساعتها أول مرة أكتشف إن العزلة لعنة مش راحة.. يمكن عشان انعزلت غصب عني! أو الحقيقة إن العزلة

عمرهـــا ما كانت راحة ودي كدبة كدبنا بيها على نفسنا عشـــان ماخدناش حاجة من البني آدمين غير غيبـــات الأمل والخذلان فاضطرينا ننعزل عنهم وعن العالم!

وفي الختام أنا تعبـــت في المصحة.. تعبت جدًا... فكرة إنك قاعد لوحدك في أوضة من أربع حيطان.. ومبتعملش حاجة غير إنك بتفكر وبس.. ده شـــيء مرهق ومميت لكن اكتســـبت حاجـــة مهمة.. درس اتعلمته ومحدش بيتعلم بالســـاهل.. أنا اتعلمت من الفترة دي إن كل شـــيء بيمر.. كل شيء بيعدي.. كل مشـــكلة مع مرور الوقت بتصبـــح تافهة.. لكن الســـؤال هنا.. طالما كل شـــيء بيمـــر وبيعدي ليه بنعيش حياتنا في حزن ومأســـاة.

الإجابة هنا تتلخص في لعبة القدر..

لعبة قذرة القدر بيلعبها معانا وهي باختصار:

كل ما تمر عليك مشكلة يخليك تشوفها نهاية حياتك وتفضل عايش حزين في دايرة مقفولة عليك ملهاش مخرج.. ومع مرور الوقت لما تنتهي المشـــكلة وتخرج من الدايرة بعد عـــذاب.. بيدخلك في دايرة

تانية أكبر من الأولي ويخليك تسخر من نفسك ازاي كنت مغفل وزعلان على مشكلة تافهة!

السؤال هنا هل فعلًا كل شيء بيعدي؟

بالطبع لا.. القدر لما يحطك في مشكلة ويدخلك المفرمة يفرمك فيها بتطلع منها هش وضعيف جدًا وبتنهار حرفيًا من أبسط شيء وممكن يدفعك للانتحار.. بيخلي الوقت يمر عليك ببطء شديد وانت منهار وحزين.. بتعيش ألعن أيام حياتك ولما تنتهي المشكلة وتخش في التانية بيخليك تسخر من الأولى..

المختصر «كل شيء بيمر عدا الحزن والوجع»

وهنا يجي سؤالين مهمين ممكن ييجوا على بالك.. وهما..

١ يا ترى كل شيء بيعدي بيسيب أثر؟

٢ يا تري كل شيء بينتهي فعلًا مع مرور الوقت؟

ببساطة أكيد كل مشكلة بتسيب أثر جوانا سواء إيجابي أو سلبي لكن السؤال المهم هو» هي بتاخد مننا إيه وهي بتمر علينا» أقصد بتاخد روحنا ولا شغفنا

ولا بتاخد جزء مننا لحد ما نبقى ميتين ومفاضلش مننا غير شوية بواقي! وده سؤال مهم لازم تجاوب علية مع كل مشكلة بتقابلك يا صديقي!

تاني سؤال والأخير ؛ يا ترى كل شيء بينتهي فعلًا مع مرور الوقت؟

طبعًا الإجابة بالنفي..

مفيش شـــيء بينتهـــي.. هو ممكـــن يعدي ويمر عليه ســـنين.. لكن ينتهى، لأ.. ممكن موقف صغير يحصلـــك يخليه ينزف من جديد.. وكأن الشـــيء لسه مولود وتدخل جوة دايرة بتتمرجح يمين وشمال ملكش ملجأ تسكن فيه!

***

الفصل الأخير

سامحوني الحياة لم تعد تحتمل

داليدا

عُدت إلى منزلي كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرًا.. فتحت الحاسوب لكي أتابع آخر الأخبار عن حفل زفاف مرام..

كانت صفحتها الشخصية عبارة عن صور لها هي وحبيبها وبعض منشورات أصدقائها تحمل التهاني لهم..

كان يتبقى على موعد حفل الزفاف أقل من ٢٤ ساعة.. في البداية لم أكن أنوي الحضور لكن عندما فتحت الرسائل البريدية وجدت رسالة منها تذكرني بالموعد.. وحينها غيرت قراري لسبب واحد.. أن أثبت لها أن مرام التي أعرفها أصبحت في عداد الوفيات الآن وأنني قادر على العيش بدونها أما بالنسبة للتي تعيش الآن فهي إنسانة لا أعرف عنها سوي أنها تشبه حبيبتي ولا يوجد بيننا شيء سوى المعرفة السطحية وأيضًا لا يوجد لدي مانع لو تزوجت.. باختصار أريد أن أثبت لها عكس الذي بداخلي..

أخذت منوم كالعادة وذهبت في النوم.. في اليوم التالي استيقظت كانت الساعة حوالي السادسة والنصف..

وكان يتبقى على الموعد ســـاعة فقط.. اتجهت إلى الحمام لأســـتحم وبعدها ارتديـــت بدلة وحذاء كلاســـيكي.. وعند انتهائي مـــن تجهيز مظهري.. اتجهت إلى المكتب لأكتب عن اليوم الذي سوف يُخلد في تاريـــخ حياتي.. يوم زفـــاف حبيبتي إلى رجلٍ آخر!

«رسالة إلى حبيبتي..

اليوم حفلـــة زفافك على راجل غـــيري! انهاردة حلمي اتخطف مني.. انهاردة أقدر أقول إن عشمي إننا نرجع لبعض ــ مات ــ طب ليه؟ لية بعدتي عني! أنا عملتلك إيه عشان تمشي.. أنا مش بقول على نفسي ملاك مبيغلطش.. أنا بغلط آه بس فين الغلطة اللي تســـتحق الفراق ويا ريته كان فـــراق بس.. ده انتي مســـكتي قلبي وطعنتي فيه الســـكينة وبعدين رقصتي على أنغام وجعي.. أنا حتى مش قادر استوعب الأمر! ازاي تبقي لحد غيري... احنا اللي كان مابينا مش شوية.. ازاي قدرتي تنسي كل اللي مابينا وتحبي من جديد! ازاي تقولي لحد غيري بحبك بعد ما كنت أنا عشقك الوحيد..

محبتنيش؟ جايـــز ليه لا.. بـــس معقولة عايش معاكي الفترة دي كلها في كدب.. وكنتي بتمثلي عليا الحب؟ ولا كنتي عايشـــة في وهم إنك بتحبيني لكـــن الحقيقة إنك حبيتي اهتمامـــي بأدق تفاصيل حياتك ؟

يا رب هونها عليا أنا مليش غيرك ألجأ ليه.. يا رب أجبر بخاطري وعدي اليوم ده على خير.

***

أغلقت المذكرة وطلبت عربية من شركة أوبر لكي توصلني إلى قاعة الزفاف.. نزلت من بيتي وقفت أمام البـــاب في انتظار وصول العربية.. وبالفعل الســـائق أتى في خـــلال دقيقتين.. ركبت ثم ســـألني إلى أين نذهب.. أخبرته باســـم القاعة وهي الفور سيزون بـــ سان ستيفانو..

وعندمـــا تحـــرك الســـائق ذهبـــت إلى غفوة من الذكريـــات.. الذكريات الـــتي كانت تجمعني مع مرام.. تذكرتها وهي تضحك وهي تبكي وهي تنهار وهي ترتطم أرضًا.. تذكرت الشمس وهي تشرق مع ابتســـامتها.. تذكرت نفســـي وأنا معها.. تذكرت

أسعد أوقات حياتي عندما كنت سبب في ابتسامتها.. تذكرت سعادتي عندما كنت أقوم بإسعادها..

صوت السائق قطع حبل الذكريات ليخبرني إننا وصلنا.. ابتسمت له وقمت بدفع تكلفة التوصيل..

اتجهت إلى القاعة وفي طريقي كنت أتقدم خطوة وأعود خطوتين.. كنت مترددًا هل أذهب أم لا وفي النهاية وصلت إلى القاعة وسلمت على مرام بابتسامة.. عينها جاءت في عيني وتوقف الزمن دقيقة لقسوة الموقف.. شعرت حينها أن العالم يضيق عليَّ وأنني غير قادر على التنفس كأنني كنت أتنفس من ثقب إبرة وشعرت أن العالم اتفق بأجمعه على أن يبكيني وأنني سوف أرتطم أرضًا كالأطفال.. لكن الذي حدث هو إني انهرت من البكاء الداخلي.. فحمدت الله على الطاقة التي أعطاني إياها رغم الوجع الذي كنت أشعر به حينها إلا أنني سعدت أن نفسي لم تخذلني هذه المرة.

ابتسمت لها مرة أخرى.. وهذه المرة الابتسامة كانت تخفي الكثير من الوجع والأحاديث التي كنت أتمنى أن أبوح بها...

وقفت عند باب القاعـــة لمدة خمس دقائق وبعدها خرجت واتجهت نحو شـــاطئ البحـــر.. كان يوجد كرســـي فارغ فجلســـت علية وأخذت أتأمل السماء والنجوم والبحر.. المظاهـــر التي أمامي كانت على وشـــك أن تجعلني أنهار من البكاء.

لكـــن صوتًا من الخلف قطع تأملي.. كان صوت تنهيدة بـــكاء.. وقفت لكي أنظر إليهـــا كانت فتاة في نفس عمري تقريبًا.. ابتســـمت لهـــا كنوع من الترحيب..

ازيك؟

الحمد لله.. وانتى؟

جلست على الرمال ولم تجب على سؤالي.. نظرت إلى السماء وبدأت تحدثني.. أحيانًا بنحتاج لشخص منعرفهـــوش نحكيله عـــن كل مشـــاكلنا وبعدها نسيبه ونمشـــي وانت لســـوء حظك الشخص ده.. اسمي مارينا مســـيحية. دايما كنـــت بفتخر بديني وبالصليب.. ماكانتش أعـــرف إن هيجي يوم وديني يبقـــي عقبة في طريقي أو ممكن يتحط في مقارنة ما بينه وبين أي شيء.

أحكيلك من البداية عشان تفهم..

من سنتين اتعرفت على شخص في مكتبة الكلية.. كنت بدور على المجموعة الكاملة للكاتب العظيم فرانز كافكا.. سألت المسئولة عن المكتبة قالتلي مفيش غير نسخة واحدة موجودة.. فرحت جدًا ولما روحت على المكان اللي موجود فيه الكتاب.. لقيت واحد مسكه.. طلبت منة الكتاب قالي أنا محتاجة جدًا.. ملامحي اتغيرت وابتسامتي اختفت.. ولما شاف ملامحي اتغيرت قالي مفيش مشكلة اتفضلي الكتاب.. شكرته وأخدت رقمه عشان لما أخلصه أدهوله.. ومن هنا بدأت العلاقة أو حكايتنا من غير ماعرف اسمه.. وتمر الأيام وأخلص الكتاب.. وقتها كلمته واتقابلنا في كافية عطيته فيه الكتاب.. ومشيت ولما روحت البيت كلمني على الواتساب يسألني على رأيي في المجموعة وسؤال جاب سؤال ومع مرور الوقت حبينا بعض رغم اختلاف الديانة هو مسلم وأنا مسيحية.. كنا ساذجين.. حبينا بعض من غير ما نشوف الحاجز اللي بينا.. حبينا بعض من غير ما نشوف إن العلاقة اتكتب عليها النهاية قبل البداية..

فضلنا ســـنة بنبعد عن بعض ونقرب.. حاولنا نلاقي حل لمشـــكلتنا بس للأسف الحيطة كانت مسدودة.. وعشـــان نعمل ثقب في الحيطة نعدي منه كان لازم حد فينا يغـــير دينه أو بمعني أدق يبيع دينه عشـــان التاني.. مقارنة صعبة دينك وآخرتك ولا حبيبك ودنيتـــك وفي النهاية كل واحد اختار دينه وعلاقتنا انتهت وكل واحد بعد عن التاني لحد الشـــهر اللي فات كلمني وقالي إن والدته شافتله عروسة وهو وافق عليها بالعقل وأقســـملي بالله إنه ماحبهاش.. وطلب مني أحضر الفرح وافقت لســـبب إني أشوف ملامحه عاملة ازاي وقتها وللأسف لقيته حزين رغم ابتسامته المرسومة على وشه.

أنهت حديثها وتركتني ورحلت..

وحينها لم أســـتطع تمالك نفسي من الضحك ووقعت على الرمال وأخذت أضحك بشكل هستيري وأخذت أسبح الله وأردد جملة «كما تدين تدان» صوت الضحك ارتفع أكثر من اللازم.. أخرجت ورقة وقلم من جيب البنطال وبدأت في الكتابة لكي أهدأ.

«اليوم اتاكـــدت من صدق مقولـــة «كما تدين تدان» حتى لو انت مسامح ومش عاوز الشخص اللي وجعك يتوجع بـــردو هيتوجع.. ربك اسمه العادل ومش بيســـيب حق موجوع.. مرام زي ما سابتني وأنا بعشقها وراحت حبت شخص تاني بكرة هتكتشف إنه بيحب واحدة غيرهـــا.. دايرة مقفولة ومفيش هروب منها.. ســـبحان اللي خلق العدل والمساواة.

وفي الختام كمـــا تدين تدان حتى لو بعد حين.. اللي كسرك مســـيره تمر عليه الأيام وحد يكسره.. مش شـــرط نفس الموقف بس هيكون نفس الوجع.. وســـاعتها الوجع هيكون الضعف لإنـــه هيفتكر إنه كســـرك وإنك اتذليت قدامه وهو غبي ماتأثرش ولا فرق معاه»

***

عُدت إلى البيت كانت الســـاعة الحادية عشـــر.. أحضـــرت ســـرنجة ووضعتهـــا على المكتـــب فتحت مذكراتي لأكتـــب عن الذي كان يفترض كتابته من سنوات.

«دلوقتي جت اللحظة اللي كنت بهرب منها طوال حياتي.. دلوقتي جه الوقت اللي الناس المفروض تعرف حقيقتي.. الصورة الحقيقة ليا هي عبارة عن طفل صغير وهو في اللفة.. القدر حب يلعب معاه لعبة.. دخله في تجارب أكبر من عمره بمراحل.. وحط شرط للعبة.. الشرط كان مضمونه إن الحياة والحب والسعادة والراحة يكونوا ضده وحصاد التجارب لازم يبقي فيه وجع وخذلان.. ويبدأ القدر يضخ سمومه في وريدي وأخرج من التجربة منهار.

ومع مرور التجارب والوقت اتحولت من طفل لعجوز بيسرد حياته على الورق.. والناس تسقفله وتمدح فيه.. إحساس مؤلم إنك تدرك في يوم من الأيام إن الحياة والقدر ضدك وإن العالم بأجمعه اتفق على إنه ينهش فيك.. إحساس قاسي إنك تشعر بإن في حاجات بتموت فيك وانت حي ومش ناقصلك غير شوية بواقي..

ودلوقتي جه الوقت اللي أحكي فيه عن أصعب الحروب اللي مريت بيها وانتصرت عليا ونتيجتها

كملت معايا لـــــيومنا هذا.. يـــوم ولادتي كانت بداية المأساة والمأساة ماكانتش ليا لوحدى.. لا.. دي كانت لوالدي وأهل أمي.. اللي حصل في اليوم ده إن أمي ماتت وهي بتولدني.. ولما كبرت واستوعبت.. بدأ واحد جوايا يقولي انت السبب.. انت اللي موتها.. لو ماكُنتش جيت للدنيا ماكانتش ماتت.. وهنا بدأت الحرب جوايا بين شخص شايف إنه السبب في وفاتها وبين التاني اللي بيحلف إنه ملهوش ذنب.. إحساس سيئ لما تشوف نفسك السبب في أذية شخص والأسوأ إن إحساســـك يبقي جزء من حياتك.. مصاحبك في كل حته وفي كل مكان.. حتى وانت نايم بتحلم بكوابيـــس بيه.. وتمر الســـنين واتعرفت على واحدة وجودها كان مهون عليا كل المأساة اللي عيشتها.. في البداية كنت بحســـبها هدية من القدر بيعتذرلي بيها عن كل اللي حصل منه.. لكن اكتشـــفت إنها لعبة قذرة منه عملها عشان يدمرني كليًا.. ده اللي اقدر أقولكم عنها.. لإني مبحبش أتكلم عنها بســـوء لإني في يوم من الأيـــام كنت راجلها فمينفعش بعد

ماتسبني أتكلم عنها ومينفعش أتكلم على واحدة بقت ملك لراجل غيرى..

***

أشعلت سيجارة وأخذت أتأمل السرنجة ثم مسكت القلم وعُـــدت إلى الكتابة مرة أخـــرى لكن هذه المرة ســـوف تكون الأخيرة.. ولأنها آخر مرة فسوف أحدث الله وأخبره بكل شيء بداخلي.

«يا الله هل تســـمعني؟ من صغري وأنا بســـألك السؤال ده.. وحاسس إن الإجابة بالنفي.. أنا نفسي أكلمـــك وأعرف أنا عملت إيه عشـــان أحصد كل الوجع ده! حصل إيه مني يســـتاهل كل الخراب اللي صاحب قلبي واشمعنا أنا؟؟ بس انت رزقتني بنعمة وهي بردو المشاعر «مع الوقت وتكرار الشيء بيخليك فاقد لذته» وده اللي حصـــل معايا مع مرور الوقت اتعودت على الوجع لدرجة إني ماكنش هاممني أتوجع على أد ماهممني إن محدش يشوفني موجوع وأشوف نظرة شفقة منه..

عزيزي الله أنا آسف عشان هنتحر وأنهي حياتي.. أنا هانهيها لسببين..

أولًا..

لإني عارف نفسي كويس وعارف إني هفضل في الوجع ده طول عمري. لإني عارف كم المشاكل اللي عندي.. وخطوات حل أي مشكلة بيبدأ بالاعتراف بيها وبعدين التصالح معاها وبعدين النية إنك تعالجها وأخيرًا العمل عليها لحد ما تنتهي.. وأنا للأسف مبعرفش اتصالح مع مشاكلي ودنيتي. ودي المشكلة العظمى إني مش قادر أتصالح وأتعايش معاها..

ثانيًا..

لإني خسرت نفسي بسبب تراكمات الصعوبات اللي مريت بيها واللي خلتني مش شايف أمل في المستقبل وأقنعتني إن الحياة عمرها ما هتتحسن.. هرحل لإني مش شايف في حياة على كوكبنا.. الصراحة دي مش أول مرة هموت فيها.. أنا مت قبل كدة كذا مرة لما أصبحت واحد منكم وكأن لا أحد ينجو من عفن الحياة..

ودي هوامـــش حكايتي وما خفـــي كان أعظم.. اضحكوا بعد ما تقرأوها فلقد انتهت الفوضى وسوف تأتي مرحلة المجهولية..

***

أمسكت السرنجة وأنا بضحك بشكل هستيري.. نعـــم نعم إنها النهاية لقد انتهى كل شـــيء.. كل هذا الخراب انتهى.. كل الأمـــراض والاضطرابات النفسية سوف تنتهي الآن.. أنا لست خائف من الله.. نعم لســـت خائف وســـوف أذهب له وأخبره بكل شيء ســـوف أخبره عن المأساة التي عشـــتها معكم والحزن الذي اكتســـبته منكم.. سوف أذهب وأعتذر له لأني تأخرت كثـــيرًا عن الموعد.. إلى اللقاء.

١

٢

٣

أخذتها في الوريد.

النهاية

الخاتمة

في هذه اللحظـــة يولد آلاف البشـــر ويبدأ القدر بضخ سمومه في وريدهم لكـــن يا ترى أهذه النهاية؟ بالتأكيـــد لا.. بـــل إنها البدايـــة.. بداية الجحيم والمأســـاة التي ســـوف تعيشـــها في هذا العالم البائس وحيـــدًا تتألم فقـــط في صمت ومن ثم تنهـــار كليًا وترتطم أرضًـــا وتأتي مرحلة الغموض.. فتهانينا لمن وصل هذه المرحلة..

الكنزي
ALKANZY